

مكتبة الإسكندرية روح الشرق الجديد

تأليف
الأستاذ الدكتور
ماهر عبد القادر محمد
جامعة الإسكندرية

مكتبة الإسكندرية
روح الشرق الجديد

مكتبة الإسكندرية

روح الشرق الجديد

الجزء الثانى

دكتور

ماهر عبد القادر محمد

2004



بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديم

ترادف اسم مدينة الإسكندرية والمكتبة معا عبر الزمان، وهـذا الترادف كون صورة معينة لهـذه المدينة الحضارية فى عيون أبناء الإسكندرية وزوارها ، كما وشـكل هـذا الترادف بعداً آخراً للصورة من خلال أهم مؤسسات المدينـة الثقافية وأعنى بهـذا المكتبة . فكان الترادف والتلازم ماثلا فى خيال وعقول العلماء والأدباء على مر العصور ليشـكل منظومة حب رائعة لهـذه المدينة بكل ما تحتويه من عبـق التاريخ . ومن ثم فإنه إذا كانت مكتبة الإسـكندرية القديمـة حدثاً ثقافياً عالمياً فإن المدينة هى فى حد ذاتها حدثاً حضارياً وذلك يرجع إلى مجموعة من العوامل المتعددة التى جعلـت المكتبة والمدينة تحتلان مكانتهما المرموقـة عبرالزمـان . وتبدو أهمية الحدث الثقافى بالنسبة للمكتبة فى أن العقول التى قامت على أمر المكتبة منـذ البداية اتسمت بطـابع اتسـاع الأفق والنظرة الثقافية الكلية ، كما كانت تتمتع بتصـورات ورؤى اكتسبتها من طبيعة المناخ الثقافى القائم على الحـوار والجدل الذى كان سائداً فى دوائر الفكر الفلسفى والسياسى ،

الأمر الــذى شكل الرؤية التاريخية الثقافية المتواصلة لأهمية المكتبة زمانيا من خلال رؤية واعية بأهميـــة المكتبـــة مـــن الناحية المعرفية ، وما شكلته من تراث انسانى وحضارى .

أضف إلى هذا طبيعة التكوين الثقافى الذى شكل مهـــارة العلماء الـــذين قامت على أكتافهم مكتبـــة الإســـكندرية ، إذ الجيل الأول منهم كان قد تربى وتعلم فـــى مـــدارس أثينـــا الفلسفية ، وهذه المدارس عملت فى الأساس على دعم الفكر الحر ، واطلاق العنان للأفكار المبدعة الخلاقة ، والقـــدرة على الحوار المدعوم بالحجة والمنطق ، كل هذا أكسبهم من الأدوات الفكرية ما يؤهلهم لريادة أى عمل ثقافى أو فكـــرى يوكل إليهم ، الأمر الذى جعلهم يغرسون هذه المبادىء ذاتها فى عقول الأجيال التالية التى نهلت عنهم. وهذا ما نلاحظـــه فعلا فى كثير من الحالات وبصفة خاصة المفكر والفيلسوف والسياسى الأثينى ديمتريوس الفاليرى الذى تحمـــل العـــبء الثقافى الأكبر وقت تأسيس المكتبة والذى كان بمثابة العقـــل الثقافى الفاعل الذى نهضت عليه المكتبـــة وانطلقـــت منـــه تصوراتها الأساسية . ثم فـــى مرحلـــة تاليـــة فـــى حالـــة

كاليماخوس الذى أنجز فهرست المكتبة الذى يعد عملا رياديا من الدرجة الأولى افتتح به عصر البيبليوجرافيا ، وأثر فى كثير من الأعمال التالية التى حاولت أن تقديم رؤى مماثلة ، وبصفة خاصة ابن النديم الذى دون كتابه المشهور "الفهرست" بعد ذلك بأكثر من ثلاثة عشر قرنا .

إن كل هذه التصورات الثقافية التى شكلت وبينت أهمية المكتبة انعكست بالضرورة علىالمدينة وكشفت عن أهميتها التاريخية والحضارية ، فكان أن ارتسمت لها صورة معينة فى عيون المفكرين والعلماء عبر العصور من خلال زياراتهم للإسكندرية أو من خلال كتاباتهم التى عبرت بصدق وحيوية عن مدينة الإسكندرية ، بحيث حفظت لنا صورة مبدعة ورائعة عن الإسكندرية وجمالها وروعتها وأحيائها وآثارها ومعالمها الرئيسية .

يحاول الكتاب الراهن أن يرسم ، من المنظور الثقافى صورة المدينة التى تشكلت وارتسمت فى مخيلة وعقول العلماء والأدباء والكتاب والمفكرين الذين مروا بهذه المدينة وعشقوها ، أو بحثوا فى آثارها ، أو نقبوا عن

كنوزها ، ذلك أن هؤلاء يمثلون التاريخ الثقافى الفاعل فـــى تيار الحضارة على مر العصور ، كما أنهم يعبروا بكتاباتهم عن روح الشعوب . ولنا فى الأعمال الأدبية وقصائد الشعر أو غيرها مما أنتجه الأدباء والشعراء خير دليل على سريان هذا الروح .

ومن الضرورى أن نشير أيضا إلى أن الأعمال المبسوطة فى هذا الكتاب تتناول أعمال أدباء وكتاب مدرسة الإسكندرية المعاصرة التى تشكل رافداً مهما من روافد الفكـــر والثقافـــة عبر الزمان . وهذه الأعمال قد يبدو لنا فى كثير من الحالات أنها تقدم فكرة الامتزاج الثقافى كطابع مميز لهـــذه المدينـــة العريقة حضاريا وثقافيا . وهى فى مجملها أعمال تكشف عن البعد المستقبلى فى حياة وتاريخ الإسكندرية التى نظر إليهـــا الكتاب والأدباء والشعراء على إنهـــا تمثـــل روح الشـــرق الجديد.

ومن هذا المنظور ارتسمت للإسكندرية صورة دائمة ، فى مخيلة الكتاب ، تكاد تكون هى هى نفـــس الصـــورة عبـــر العصور . وجد الكتاب عبر العصور أن الإســـكندرية هـــى

بمثابة القلب الثقافى بالنسبة لدول حوض البحر المتوسط . ووجدوا أيضا أن الإسكندرية ملتقى الثقافات ، الشرقية والغربية على حد سواء، وأن هذا الملتقى يشكل الوسط الفاعل لثقافة معبرة عن آمال وتطلعات شعوب البحر المتوسط نحو استعادة مكانتها التاريخية حضاريا وثقافيا . كل هذا شكل العوامل التى تجعل الإسكندرية أهم ملتقى للثقافات فى القرن الحالى ، وهو ما يشكل بعدا مهما من أبعاد روح الشرق الجديد .

إننى أرجو أن أكون قد وفقت إلى تقديم الرؤى المتعددة لمدينة الإسكندرية ومنارتها الحديثة النفيسة، أقصد مكتبة الإسكندرية الجديدة التى بعثت فى مصر من جديد فى عصر رائد النهضة الثقافية الحديثة الرئيس محمد حسنى مبارك الذى وضع مصر بحق على أعتاب العالم الجديد ، لتحتل مكانتها الرفيعة بين دول العالم .

أسأل الله سبحانه التوفيق والسداد ،،،

الإسكندرية	**دكتور**
أول مايو 2004	**ماهر عبد القادر محمد**

الفصل الأول

الإسكندرية وامتزاج الثقافات

في فترة متألقة من تاريخ الفكر العلمى المصرى والإسكندرى فى العصر الحديث ، افتتحت جامعة الإسكندرية الحديثة لتكون امتداداً للوجود العظيم لهذه المدينة التى انتجت حضارة من أهم وأعظم الحضارات . وكان افتتاح هذه المدينة مؤشراً له دلالته التاريخية والحضارية المستمدة من الماضى العريق لمدينة الإسكندرية . وفى رحاب هذه الجامعة الوليدة ، أقصد جامعة الإسكندرية التى كان الدكتور طه حسين أول مدير لها عام 1942 وهى تحمل اسم جامعة فاروق الأول ، وهى ذات الجامعة التى أصبح الأستاذ الدكتور محمد لطفى دويدار الرئيس الثانى عشر لها فى الفترة من 1971- 1976 الذى تحمس لفكرة انشاء مكتبة الإسكندرية الحديثة ، وصولا إلى الأستاذ الدكتور محمد أحمد عبد اللاه الرئيس العشرون لجامعة الإسكندرية الذى أرسى قيم الحب والوفاء داخل أروقة هذه الجامعة العريقة . أقول: فى رحاب هذه الجامعة العريقة ذات التاريخ التليد، صدرت فى كلية الآداب مجموعة من البحوث القيمة عن الإسكندرية من كافة جوانبها الثقافية والسياسية والاجتماعية والتاريخية ،

حيث ركزت هذه البحوث على كافة الجوانب الحضارية والثقافية بها، وجاء هذا التركيز انطلاقا من أهمية المدينة تاريخيا وجغرافيا وحضاريا . أقول: صدرت هذه البحوث فى مجلة كلية الآداب باعتبارها من أهم منابر المعرفة العلمية والثقافة والفكر فى جامعة الإسكندرية والعالم العربى .

والواقع أن مجموعة البحوث التى نشير إليها ظلت فى طى النسيان لفترة تعدت النصف قرن من الزمان، حتى قمت بالكشف عنها من جديد فى الفترة 2001-2002 ، عندما كنت وكيلا للدراسات العليا بكلية الآداب ، حيث جاءت هذه النشرة فى اصدارة حديثة لها صدرت فى العام 2002 ، ضمتها مجلدات خمس ، ثلاث منها اختصت بالبحوث التى دونت باللغة العربية، وهى بحوث صدرت بأقلام علماء جامعة الإسكندرية فى العصر الحديث من المفكرين المبدعين. أما المجلدين الآخرين فقد شملا البحوث المدونة باللغتين الإنجليزية والفرنسية. وهذه البحوث فى مجملها متميزة وتشكل رافداً مهماً من روافد الفكر الذى انصب على المدينة والمكتبة والمؤسس معا ، وهى مسألة لازمت كل من

يكتب عن الإسكندرية حتى يومنا هذا فى البحوث الحديثة التى يحفل بها العلم فى عالم اليوم ، مما يعنى أن هناك جوانب لم يتم الكشف عنها حتى يومنا هذا . وهذا يعنى من جانب آخر أن رؤية هؤلاء وأولئك تتمثل فى أن مدينة الإسكندرية تستحق أن تحتل مكانة خاصة ومتفردة بين مدن العالم لطابعها المميز والمتفرد بين دول حوض البحر المتوسط ، ولكونها تمثل أيضا ملتقى ثقافات البحر المتوسط.

يهمنا فى هذا المقام أن نقدم قراءة وتحليلا لمضمون الأفكار التى قدمها لنا الكتاب عبر التاريخ الحديث لمدينة الإسكندرية ، لنقف على أهمية ما ورد فيها من أفكار فى الاصدارة الحديثة التى قمت بها فى العام 2002 . لكننى سأحاول هنا أن اختار من بين هذه البحوث والمقالات مايعبر عن تواصل الفكر فى مدرسة الإسكندرية بكل أبعادها وأضم بعضها إلى بعض ، فى بعض المواضع، لتوضيح الأفكار أو بيان تواصلها حتى يمكن الكشف عن صورة المدينة والمكتبة فى عيون النخبة المثقفة من رواد العلم فى الإسكندرية الساحرة الذين عشقوا الإسكندرية وبهروا بروعتها وجمالها .

ومن ثم وفى هذا الاطار نجد أن من أهم البحـوث التـى زخرت بها مجلة كلية الآداب ذلك البحث القيم الـذى قدمـه الأستاذ زكى على منذ أكثر من نصف قرن . والأستاذ زكى على من أعلام المؤرخين الذين كتبوا بمجلـة كليـة الآداب بجامعة الإسكندرية . والبحث الذى قدمه يعتبر من أقدم وأهم البحوث التى قدمت فى جامعة الإسكندرية ، حيث ركز فيـه على بعض الجوانب المهمة فى تاريخ الإسكندرية الحضارى منذ عصر البطالمة . وقد جاء البحث بعنوان "الإسـكندرية : تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها فى عصر البطالمـة" وصدر فى عام 1944. فى هذا البحث نجد الأسـتاذ زكـى على يبدأ ببيان كيف أن الإسكندرية تعد من أعظم المدن التى أنشأها الإسكندر الأكبر. إذ يذكر لنا فى هذا البحث أن المدن التى أسسها الإسكندر الأكبر فى طول امبراطوريته الواسعة كثيرة تعد بالعشرات ، ولكن لم يقدر لواحدة.منها أن تشـهد مثل ذلك المستقبل الباهر والشهرة العظيمة طـوال الأجيـال التالية مثل تلك المدينة التى ابتناها فى مصر ... وقليل مـن المدن لقى من التمجيد والتفخيم مثل ما لقيته مدينة الإسكندرية

القديمة. ثم يشرع الأستاذ زكى على فى بيان تفاصيل تأسيس مدينة الإسكندرية ، عارضاً للوصف الذى قدمه اســترابون لموقع الإسكندرية الاستراتيجى ، وكيف اختار الإسكندر هذا الموقع الفريد الذى تشابه مع موقع مدينة صور، حيث كــان ينوى أن تلعب الإسكندرية نفس الدور الذى لعبتــه ومثلتــه مدينة صور من الناحية الحربية. ويبين الأستاذ زكى علــى من خلال الاستعانة بالنصوص المقتبسة من استرابون أهمية موقع المدينة بقوله : ومزايا موقع المدينة مختلفة الأنواع لأن الموقع أولا تتكسر عليه مياه بحرين ، فمن الشمال مياه مــا يسمى بالبحر المصرى ، وفى الجنوب مياه بحيرة "ماريــا" التى تسمى أيضا مريوط ، وتملأ هذه البحيرة بواسطة قنوات كثيرة ممتدة من النيل من أعلى(أى من الجنوب) ومن كــلا الجانبين ، وكانت الواردات الأتية بواسطة القنــوات أعظــم بكثير من تلك الواردات الآتية عن طريق البحر ، وعلى ذلك كان الميناء المطل على البحيرة أغنى فى الحقيقة من الميناء الواقع على البحر ، وهنا (أى فى الميناء البحــرى) كانــت الصادرات الخارجة من الإسكندرية أيضا أكثر من الواردات

إليها ، ويستطيع المرء أن يتحقق من ذلك متـــى وجـــد فـــى الإســـكندرية ورأى المراكـــب التجاريـــة عنـــد وصـــولها ورحيلها...... .

وبعد أن يناقش هذه الجوانب يتجه إلى بيان وصف الإسكندرية ، ثم يعرض لتخطيط مدينة الإسكندرية فى عهد بطلميوس الأول ، ثم سكان الإسكندرية، حيث ظهر منذ نشأتها أنها ستكون كالبوتقة تلتقى فيها عناصر مختلفة من شعوب الشرق والغرب ، وبلاد الإغريق ومصر وآسيا، وممالك لم تعرف من قبل، مما يعنى أن الروح الأساسية التى أريد لها أن توجه الإسكندرية إنما هى روح الامتزاج الحضارى والثقافى ، ومن ثم يكون من المتوقع أن تقوم الإسكندرية بنصيبها ودورها فى بناء حضارة جديدة تكون مزيجاً من ثقافات وحضارات شعوب مختلفة . وقد وجد فيها اليونان فى أول القرن الثالث ق.م كل مظاهر المدينة اليونانية ومميزاتها، ولذلك هرعوا إليها . ومع أن الأستاذ زكى على يذكر أن أهل اليونان هرعوا إلى مصر والإسكندرية بالذات ، إلا أنه لم يفسر لنا أسباب هذا الهرع الذى ننظر إليه على أنه

يبين مدى التعبير عن الاستقرار والأمان والسلام الذى كانت تنعم به بلاد مصر والإسكندرية دائما ، مما شجع الجاليات من مختلف الجنسيات أن تقصد الإسكندرية للإقامة والعمل والثقافة وتلقى العلم فى مكتبتها ، وهى ميزة انفردت بها مدينة الإسكندرية . كما كان يوجد بالمدينة منذ تأسيسها جالية من اليهود ازدادت أعدادهم مع مرور الزمن حتى أصبحوا كثرة لها منزلتها وأهميتها، ولكنها جالية سببت فيما بعد نكبات للإسكندرية .

أما عن دستور المدينة ، فيذكر أنه ليست لدينا معلومات وثيقة عن هذه المسألة . وبأن التفاصيل المتعلقة بكبار الموظفين بالمدينة واختصاصاتهم هى لسوء الحظ غير ميسورة ، لذلك عمد إلى إعمال الحدس والتخمين كى يتصور ماكانت عليه الحال إذ ذاك . لكن يبدو أنه لابد وأن نتوقف قليلا عند هذا الرأى . إذ القول بأنه ليست لدينا وثائق عن معلومات دقيقة تتعلق بدستور المدينة ، إنما هى مسألة استوقفت واحداً من أهم المؤرخين المعاصرين وهو الدكتور لطفى عبد الوهاب يحيى الذى تناول هذه المسألة بعد سنوات

طويلة ليكشف عن رأى جديد كان لابد وأن تتجه إليه الأبحاث العلمية فى هذا المجال للكشف عن أسرار هذه المدينة التى لعبت دوراً تاريخياً مهماً فى كل العصور.

أفرد الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيي ، وهو قيمة علمية وفكرية كبيرة تعتز بها جامعة الإسكندرية، أفرد فى عام 1958 مقالة مطولة يتناول فيها هذا الجانب بعنوان "بخصوص مسألة مجلس الشيوخ السكندري " حيث يبدأ مقالته بإلقاء الضوء على مسألة غاية فى الأهمية بالنسبة للوضع السياسي لمدينة الإسكندرية ، ويحاول الإجابة على السؤال الملغز : هل تمتعت الإسكندرية ــ بوصفها مدينة يونانية ــ بمجلس للشيوخ (سيناتو) ، كما هو مألوف في نظام دولة المدينة الذي عرفته بلاد اليونان ؟ أم أنها لم تتمتع بمثل هذا المجلس؟

يقرر هذا العالم الجليل منذ البداية أن هذا الأمر يحيط به قدر غير قليل من الغموض . فلقد ثار الخلاف حول وجود هذا المجلس أو عدم وجوده ، ويبدو أن هذا الخلاف قد ظل

مع المؤرخ مومسن الذى تعرض لهذا الإشكال حين ذكر أن وجود المجالس التشريعية لايمكن أن يتفق والاتجاه المركزي الذي استنه البطالمة في نظام حكمهم فى مصر . وخلص مومسن إلى أن مثل هذه المجالس لم توجد في الإسكندرية البطلمية ولقد تبعه فى رأيه العديد من المؤرخين مثل تارن وبوشيه ــ لكلرك.

لكن الدكتور لطفى عبد الوهاب بنظرة تحليلية نقدية وقراءة دقيقة للوثائق والنصوص والشذرات التى حفظت لنا، يذكر أن العديد من الشواهد تشير إلى وجود مجلس للشيوخ بالإسكندرية عند تأسيسها ويستند فى رأيه إلى الخطاب الذي وجهه الإمبراطور كلاوديوس إلى السكندريين والذي يقول فيه، فى أثناء مناقشته لالتماسهم الذى تقدموا به بخصوص إقامة مجلس للشيوخ فى مدينتهم:

(أما عن أنكم كنتم تتمتعون بمجلس للشيوخ فى عهد ملوككم الأقدمين فهذا أمر لا أريد أن أخوض فيه....).

واضح من الرد أن السكندريين أثناء حوارهم مع الإمبراطور كلاوديوس ذكروا أن مدينتهم كان لها مجلس

للشوري فى عهد الملوك البطالمة ، ومن غير المتصور أن السكندريين كاذبين فى دعواهم ، إذا لو كان الأمر كذلك لما تردد كلاوديوس فى أن يواجههم بكذبهم ، ولكان رده عليهم أنهم يطلبون إليه ما لم يستطيعوا الحصول عليه من ملوكهم وبنى جلدتهم ، بدلاً من أن يلجأ إلى مداورتهم للتخلص من الطلب الذي أحرجوه به . وهذا يدل دلالة واضحة وصريحة على أن السكندريين كان فى يدهم حجة دامغة بوجود مجلس للشيوخ بالإسكندرية في عهد الملوك البطالمة.

على أية حال أتاح هذا النص للدكتور لطفى عبد الوهاب أن يستنتج وجود مجلس الشيوخ السكندرى فى مطلع العصر البطلمي ، ولكن يبدو أن مثل هذا المجلس قد اختفي فى مرحلة متأخرة من العصر البطلمي فى مصر. ولقد طلب السكندريون ، عند بداية العصر الروماني من أوكتافيوس أن يمنحهم مثل هذا المجلس ولكنه رفض طلبهم.

لكن الأستاذ زكى على ، ومن منطلق الاعجاب بالإسكندرية كمدينة عالمية، يناقش فى مقالة له صدرت في عام 1948 مسألة أخرى على درجة كبيرة من الأهمية

تتصل بالمظهر الثقافى والحضارى بعنوان " الإسكندرية فى عصر البطالمة: بعض مظاهر الحضارة بها"، حيث يستكمل حديثة عن الإسكندرية، ويعرض للقوانين المرعية بها فى القرن الثالث ق.م ، ومنها الحقوق القانونية لبعض طبقات السكان في الإسكندرية والتى تنص على أنه "لايجوز لأحد أن يقيم الدعوى على أحد آخر ممن أنفذهم الملك فى خدمته، لا على أشخاصهم ولا على ضامنيهم ، كما لا يحق لمن يوكل إليه أمر التنفيذ ولا لأحد من أعوانه أن يلقى القبض على هؤلاء.. إلى غير ذلك من القوانين، وعقوبات التعدى عليها.

ثم ينتقل الأستاذ زكى على بعد ذلك إلى بيان أهم معالم الإسكندرية فى ذلك العصر ، ومنها المنارة المشهورة التى بدت للغادى والرائح فى أبهى حلة ، وكانت أول الأبنية العامة التى اقيمت من هذا النوع حتى عدت إحدى عجائب الدنيا .

وموضوع منارة الإسكندرية شغل واحداً من أهم المؤرخين السكندريين وهو الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذى ناقش المنارة فى مقالته بعنوان" منار الإسكندرية في

رؤية بعض الرحالة المغاربة" والتى صدرت عام 2000 حيث نجده يبرز الأهمية التي ظلت تشغلها منار الإسكندرية في العصر الإسلامي ، وهو ما لفت أنظار الرحالة المسلمين من أهل المغرب والأندلس الذين زاروا مصر وهم في طريقهم إلي الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج ، أو تلقي العلم ، أو الاشتغال بالتجارة . وتبين المقالة أعمال الترميم والإصلاح التي أمر بها الحكام والسلاطين علي مر العصور للمنارة .

لكن ماذا عن الطابع الثقافى للمدينة والحركة الفكرية بها ؟ هذا مايجيب عليه الأستاذ زكى على الذى كشف لنا كيف أن الإسكندرية كانت مركزاً للثقافة بفضل الأكاديمية التى كانت عبارة عن جامعة كبرى ، أو على الأقل محفلاً جامعياً أشبه بإحدى كليات جامعتى اكسفورد وكيمبردج فى نظمها وتكوينها، فكان العلماء والأدباء من مختلف الأجناس والأقطار يلتقون فيها، وكانت الحكومة البطلمية المستنيرة تغدق عليهم من خيراتها، وهذا مايشجعهم على الانتاج العلمى والفكرى، بل وكانت الحكومة تمنحهم مرتبات من خزانتها

الملكية فى سخاء . وكأن لسان حالهم يقول : أن العالم أو المفكر أو الأديب الذى يمثل ويجسد روح الأمة فى كتاباته لابد أن تكون حياته رغدة وميسرة ، لأنه ينتج للأمة فكرا وعلما هو فى جوهره الغذاء الثقافى والفكرى للأمة .

ومن جانبنا نرى أن الكتابات الحديثة التى امتـــدت علـــى مدار نصف قرن ، بعد كتابات الأستاذ زكى علـــى ، مثـــل كتابات الدكتور مصطفى العبادى والدكتور شـــعبان خليفـــة والدكتور نبيل راغب والدكتور سمير حنا صادق وغيـــرهم من المفكرين الذين أثروا الفكر فى جانـــب التعـــرف علـــى الحركة العلمية فى مكتبة الإسكندرية ، هذه الكتابـــات أرادت أن تعمق النظرة إلى الإسكندرية ومكتبتهـــا ، إذ أن مكتبـــة الإسكندرية كانت نقطة الانطلاق التى شـــكلت الفكـــر فـــى الإسكندرية من حيث طبيعتها وما درجت عليه من خدمات . ولكن ما هى طبيعة المكتبة، ومـــا طبيعـــة العمـــل الثقـــافى بالمكتبة ، وما طبيعة الخدمات التى قدمتها المكتبة .

أما المكتبة فهي أحد أقسام القصـــر الملكـــي فـــي حـــي البروكيوم (الحي الملكي) وكانت تحتل الجزء الشرقي مـــن

مجموعة الأبنية التي كانت تعرف بالمتحف (الموسـيون)، وكان المتحف جزءاً من القصر وبينهما ممر عمومي[1] . ومع أنه لم يصلنا أى وصف تفصيلي للمكتبـة القديمـة ، إلا أن الكشف عن المبني الكامل لمكتبة برجامون، كما يرى ذلـك الدكتور شعبان خليفة، يشير إلى مـا كانـت عليـه مكتبـة الإسكندرية ، علي أساس أن النمط المعماري كان واحداً في ذلك العصر حيث يقوم المبني أساساً علي شكل ممشي عظيم، تحيط به مجموعة كبيرة من الأعمدة العالية . وعلي جـانبي المشي الممتد توضع تماثيل للمفكـرين والآلهـة . وينتهـي الممشي بمجموعة من الحجرات بعضها للدراسـة وبعضـها الآخر قاعات للكتب . وقد قسـمت قاعـات الكتـب إلـي قاعات للكتب اليونانية ، وقاعات للكتب المصرية ، وقاعات لكتب الثقافات الأخرى[2].

---

[1] د. خالد الحديدي ، الوجه العربي لمكتبة الإسكندرية القديمة ومدرستها ، 1996 ،ص 70

[2] د شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب و المكتبات في العصور القديمة ، الدار المصرية اللبنانية ، ص285

وتذهب بعض الآراء إلى أنه كانت توجد 10 قاعات ضخمة مليئة بالرفوف ، وكان لكل علم قاعة خاصة به . مثل : قاعة الهندسة ، قاعة الفلك ، قاعة الطب ، وغيرها من القاعات . وكانت تلك القاعات العشر تسمي عند العرب (موضع التعليم) . إذ يقول ابن أبى أصيبعة أن انقلاوس هو الذي رتب كتب الطب لجالينوس في موضع الطب بالإسكندرية . وكذلك يذكر ابن القفطى أن موضع التعليم هو الموضع الذي ينتسب إليه الفلاسفة . وكان علي رأس كل قاعة منها كاهن أو رئيس .

ولنا أن نلاحظ أيضا أن مرتبات العلماء و العاملين بالمكتبة كان يدفعها الملك[1] ، باعتباره راعى الحركة العلمية والثقافية فى البلاد . كذلك كانت هناك صالات للطعام . وكان هناك مرصد فلكى . ويتوسط المكان حمام سباحة تحيط به الأشجار والحدائق الغناء من كل جانب . وقد كسيت جدران القاعات من الخارج و الداخل بالرخام . ووضعت

---

[1] المرجع السابق

لفافات البردي في اسطوانات . ووضعت الأسطوانات داخل عيون خاصة في الجدران . هذا وكانت المكتبة تحتوي علي معامل للتشريح محاطة بقاعات الدرس والمناقشة . كما كانت تحتوي علي حدائق للحيوانات والنباتات [1] .

ولكن هل ضم الموسيون والمكتبة بناء واحد، أم كانا أكثر من بناء ؟

إن المصادر القديمة لا تفيدنا كثيراً في الإجابة علي هذا السؤال إلا بطريق غير مباشر ، حيث لا تحدثنا هذه المصادر عن مباني المنشأتين معا . أو موقع الواحدة بالنسبة للآخرين . وأكثرهذه المصادر يشير إلي واحدة منها فقط دون الأخرى . وأهم تلك المصادر ما يلى :

أولا: وصف استرابون للموسيون: حيث وصف الموسيون وصفا تفصيليا فيذكر :

1- صالة الطعام المشتركة لأعضاء الموسيون .

2- الحدائق .

---

[1] د . سمير حنا صادق ، العلم في مكتبة الإسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص 16

3- الأروقة .

4- الأجنحة المنتشرة حول بناء الموسيون .

ومع ذلك نجد استرابون يمر بصمت تام علي المكتبية .

ونستنتج من ذلك الوصف أن المكتبة لم تكن جزءاً من بناء الموسيون ذاته، لأنها لو كانت جزءا من بناء الموسيون لكان قد ذكره . كما إنه أيضا لم يذكر للمكتبة بناء مستقلا في معرض وصفه لمباني الإسكندرية الهامة، لأن المكتبة الكبرى كانت قد احترقت أثناء حرب قيصر .

ثانيا: أثنايوس حيث يذكر المنشأتين في عبارته التى يتحدث فيها عن جهود البطالمة الأوائل بقوله" ماذا يجب أن أقول عن أعداد الكتب والمكتبات".

وهناك مجموعة من الشواهد تؤيد انفصال المنشأتين عن بعضهما ، ومنها:

1- أن الكتاب عادة ما يذكرون إنشاء كل منهما علي حده ، مثال ذلك عبارة بلوتارك التى يقول فيها أن بطليموس هو أول من أسس الموسيون . ويذكر كتاب آخرون ان ديمتريوس الفاليري ضم مجموعة من الكتب في فن الحكم

والسياسة إلى المكتبة بناء على طلب بطلميوس (سوتر) ، وأن حجم المكتبة فى نهاية عهد بطلميوس الأول وبداية عهد بطلميوس الثانى (فلادلفيوس) بلغ 200.000 مائتى ألف كتاب .

2- استقلالهما الإداري ، وهذه مسألة نتبينها من العديد من الكتابات والتى تذكر أنه :

أ- كان يرأس الموسيون (كاهن) هو بمثابة رئيس ديني لمنشأة ذات صفه دينية باعتبار الموسيون معبدا أو بيتا لربات الفنون. ويأتي علي رأس أعضاء الموسيون (رئيس مدني) .

ب - أما المكتبة فكان لها (مشرف خاص) معين علي مكتبة الإسكندرية الكبرى .

ويبدو أن هذا الانفصال الإداري تبعه انفصال مالي . فمن الناحية المالية نعرف أن المكتبة كان ينفق عليها من الأموال الملكية مباشرة . أما الموسيون فكان لأعضائه ملكية مشتركة بينهم تستغل للإنفاق عليهم .

ويتضح من كل هذا أن المصادر القديمة توحي، وإن كانت لا تصرح، بأحد أمرين هما :

1- انفصال بنائيي المكتبة و الموسيون .

2- إستقلالهما الإداري و المالي .

ولكن ربما وجد بناء المكتبة بالقرب من الميناء ومشـرفا عليه ، وبناء الموسيون إلي الداخل وسط منطقـة القصـور الملكية . وبذلك يمكننا تفسير احتراق المكتبة عندما أضـرم يوليوس قيصر النيران فى السفن الموجودة في الميناء، بينما كان الموسيون في الداخل ، على مايرى الدكتور العبادى فى كتابه عن مكتبة الإسكندرية القديمة [1].

ولكن علماء الآثار يعتقدون أن المكتبة لم تشـغل مبنـي منفصل، إنما كان مكانها داخل المتحف ، وقد تتضمن أجزاء من مبانيها ، مثل :

1- المكاتب الإدارية الخاصة بالمكتبة .

2- حجرات العمل لموظفي المكتبة .

3- المخازن التي ترص فيها لفائف الكتب علي الأرفف .

---

[1] د. مصطفي العبادي ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977، ص 32:ص34

4- غرف القراءة ، ولكنها لم تكن ضرورية في جـو مثـل مناخ الإسكندرية اللطيف.[1]

على هذا النحو ضمت المكتبة كتبا فـي جميـع صـنوف المعرفة . ونتيجة للمجهودات الكبيرة التى بذلت في تجميـع الكتب من جميع أنحاء العالم ، نجد أن مكتبـة الإسـكندرية القديمة اشتملت في وقت قصير جدا علي معظـم مـا كـان معروفا في اللغة اليونانية من نثر وشعر وآداب وفنون .

ولكن مكتبة الإسكندرية لم تقتصر علي الكتب اليونانية بل ضمت أيضا كل ما أمكن الحصول عليه من آداب وأخبـار الشعوب الأخرى ، ومن أمثلتها :

1- الأدب المصري: يدل علي ذلك أن البطالمة اهتموا بنقل تراث المصريين إلي اللغة اليونانية ليقرأها علماء الموسيون من الإغريق . ولذا فقد كلف الكاهن المصـري (مـانيتون) بتأليف كتاب باللغة اليونانية عن تاريخ مصر الفرعونيـة . ومع أن الكتاب الأصلي قد ضاع إلا إنه وصلتنا أجزاء منـه

---

[1] Fred Lerner, ***Libraries Through The Ages***, The continuum Publishing Company,2000, p.21

ولا يزال تقسيم مانيتون للتاريخ المصري إلي ثلاثين أسرة معمولا به إلي يومنا هذا .

2- تاريخ العراق القديم : الذي ألفه باللغة اليونانية (بيزوسوس) ، ولكن لسوء الحظ فقد هذا الكتاب أيضا .

3- مجموعة الكتب الفينيقية : لابد أيضا أن المكتبة قد ضمت مجموعة الكتب الفينيقية التي لم يصلنا منها سوي أسمائها مثل كتب :

1- ميناندر الصوري .

2- ديوس هيبسكراتس .

3- بثودوتوس .

4- موخوس

5- وسانشونيوثون الذي كتب عن آلهة الفينيقيين

4- كتابات الهنود البوذيين : لا بد أيضا أن بعض كتابات الهنود البوذيين قد أودعت في المكتبة بعد أن أرسل حاكم الهند في النصف الأول في القرن الثالث ق . م يدعو الملك بطلميوس الثاني إلي اعتناق البوذية [1] .

---

[1] د. مصطفي العبادي ، المرجع السابق، ص 15 ص16

5- ترجمة التوراة : في المكتبة القديمة تمت الترجمة اليونانية للعهد القديم (التوراة) وهي المعروفة بالسبعينيه وذلك لخدمة اليهود المنتشرين في أرجاء العالم الهلليني المتحدث باليونانية وقد تناولنا هذه الترجمة تفصيلا فى الجزء الأول من هذا المؤلف . كذلك توصل (فيلون) من دراساته المستفيضه في المكتبة إلي مذهبه اللاهوتي والفلسفى .

6- الدراسات الإنسانية : أما فى مجال الدراسات الإنسانية فلم تقتصر المكتبة على تقديم المعلومات العامة فقط ، بل كانت تحتوي علي أمهات المؤلفات الفلسفية والأدبية والفكرية الكبرى .

وبذلك تزاد أهمية المكتبة بصورة هائلة لأنه إذا كان في استطاعة المشتغل بالتشريح مثلا أن يجد في المكتبة كتبا، فإنه لن يجد أجساما لتشريحها ، كما أن في استطاعة الفلكي أن يجد كتبا في الفلك ، لكنه لن يجد النجوم ولن يرصد الكواكب . ومن ثم فإن انجازات هؤلاء العلماء تعتمد في المقام الأول علي الأقسام التي ينتمون إليها حيث المعامل

والأجهزة والمراصد . أما إذا أراد الأديب أو الناقد أن يقـرأ الإلياذه أو الأوديسا لهوميروس ، فإنه سوف يجد تلك الذخائر وغيرها بين يديه في المكتبة وحدها، وربما لـم يكـن فـي استطاعته أن يعثر عليها في مكان أخر [1] .

7- العلوم والرياضيات : كانت هناك وبصفة مستمرة دفعات علمية قوية إلي الأمام علي أيدي علماء المكتبة وأمنائها الذين كانوا من رواد العلم و الفلسفة أيضا . مثال ذلك :

أ- **أريستارخوس** الذى وفق إلي معرفة وفهم حركـة دوران الأرض حول الشمس مسـجلا بـذلك سـبقا علميـا علـي كوبرنيكوس فى العصر الحديث .

ب – **أراتوشينيس** وقد استطاع أن يقيس محيط الأرض إلي درجة قريبه جدا من المقياس الصحيح الذي عرفه العلماء في العصور الحديثة .

[1] د . نبيل راغب ، عصر الإسكندرية الذهبي ، رؤية مصرية علمية ، القمة المصرية العامة للكتاب ، 1993 ، ص 57

ج – إقليدس : الذى ألف في المكتبة كتابة المعـروف باسـم العناصر أو الأصول. وقد عرضنا له فى الجزء الأول مـن هذا الكتاب .

د –هيرون : الذى اختراع الأله البخارية والأله التي تـدار بوضع عمله صغيرة في ثقب بها قبل أن يعرف هـذا فـى العصر الحديث .

إن دور المكتبة لم يكن قاصراً علي حفظ الكتب وإعارتها واستعادتها ، كما يحدث في مكتبات عالمنا المعاصر الآن ، بل كانت بمثابة مدرسة أو جامعة أو أكاديمية وضعت فيهـا أسس علوم عدة منها :

1- تصنيف الكتب ووصفها .

2- نقد النصوص والمتون .

3- تسجيل قوائم منظمة لفنون الأدب اليوناني الكلاسيكي .

كما ابتدع فيها أسلوب الضبط و الترقيم ، وقد أشرنا إلى هذه المسألة فى الجزء الأول وبينا إلى أى حد كان هـذا العمـل ابتكاريا إلى درجة كبيرة ، وبصفة خاصة أسلوب وطريقـة

علامات الفصل بين الجمل ، مما أدى إلـــى ســـهول الفهـــم والاستيعاب [1]

تجميع الكتب :

لقد حفظت لنا كتب التاريخ القـــديم الكثيـــر مـــن جهـــود البطالمة في سبيل تجميع الكتب في الإسكندرية ممـــا أثـــار دهشة و اعجاب القدماء والحديثين علي السواء .

وبالرغم من ان الموسيون معهد إغريقي أساســـا، إلا أن جهود الملوك البطالمة وعلماء الموسيون كانت تهدف إلي أن تضم مكتبتهم أكبر قدر من تراث الإنسانية الفكري .

ولكن السؤال الآن هو : كيف أمكن تجميع مثل هذا القـــدر الهائل من المخطوطات في ذلك الوقت القصير ؟؟

فى الإجابة على هذا التساؤل يجب ان نذكر دائمـــا أننـــا نتحدث عن عصر لا يعرف المطبعة والكتب المطبوعة فـــي شتي صورها، وأن كل نسخه من كتاب كانت تكتـــب بخـــط اليد.

---

[1] د . نبيل راغب ، المرجع السابق ، ص 56

والواقع أن البطالمة لم يدخروا جهدا ولا مالا في سبيل الحصول علي الكتب حيث وجدت، وكانت أكبر أسواق للكتب في ذلك الوقت هى التى في أثينا ورودس .

ويجب أن نذكر الدور الخطير الذي قام به (ديمتريوس الفاليري) نفسه في بناء المكتبة وتوجيه مجمع الموسيون ، والمتمثل فى .

1- شراء مكتبة أرسطو : لقد كان ديمتريوس الفاليري تلميذا مباشرا لأرسطو، ولذلك لم يكن غريبا أن يوجه المكتبة والموسيون توجيها أرسطيا بحتا. ومن ثم فقد كان أول عمل قام به في هذا الاتجاه هو شراء مكتبة أرسطو.

ولقد استطاعت المكتبة بفضل ديمتريوس الفاليرى أن تشتري المكتبة من نيوليوس وريث أرسطو مقابل مبلغ ضخم. ومكتبة أرسطو كانت تعتبر أكبر مكتبة في عصره مع ما أضافه إليها تلميذه وخليفته ثيوفراستوس .

كانت مكتبة أرسطو إذن أعظم مقتنيات مكتبة الإسكندرية، ومن أكثر ما جلب لها شهرتها العالمية قديما وجعل كثير من

الناس يقصدون الإسكندرية ليقرأوا في مكتبة أرسطو بعد انتقالها إليها.

ولعل هذا هو مبعث الخطأ الذي وقع فيه بعض الكتاب العرب مثل البغدادى، وبعض الرحالة الغربيين في العصور الوسطي فأطلقوا علي مكتبة الإسكندرية اسم (مدرسة أرسطو) وأن أرسطو نفسه قد علم بها . والطريف أنهم جعلوا (السرابيوم) حيث يقوم عامود السواري هو موقع المدرسة . وقد تم اكتشاف كتاب كامل لأرسطو ظل مفقودا لأكثر من ألفى سنه و هو كتاب (الدستور الأثيني) الذي عثر عليه في صعيد مصر علي أوراق البردي سنة 1890 وهو واحد من أكثر من 150 دستورا جمعها أرسطو ودرسها قبل أن يكتب كتابه المشهور في علم السياسة .

ويبدو أن الطابع الأرسطي لمكتبة الإسكندرية كان واضحا تماما عند القدماء فجعلوا أرسطو الأب الروحي لمكتبة الإسكندرية ، كما يتضح من عبارة لإسترابون يصف فيها

أرسطو بأنه أول من جمع الكتب وهو الذي علم ملوك مصر كيف يؤسسون مكتبة[1].

2- لجأ البطالمة إلي وسيلة تعسفية ، فأقاموا مـــا يمكـــن أن يسمي حجراً علي الكتب التي في السفن[2] . فقد أمر بطليموس الثالث كل المسافرين علي السفن التى ترســـو فـــي مينـــاء الإسكندرية أن يودعوا ما قد يحتويه متاعهم من كتب وتؤخذ إلي المكتبة، فإن كانوا في حاجة إليها احتفظوا بها وكتبوا منه نسخة تقدم إلي صاحب الكتاب مع التعويض المالي وتكـــون هذه النسخة التي تقدم له رسمية معتمدة [3] ، وأطلق علي هذه المجموعة اسم خاص هو (كتب من السفن) .

3- استعارة النسخ الأصلية من أثينا : اســـتعار بطليمـــوس الثالث من أثينا النسخ الرسمية مـــن مؤلفـــات ســـوفوكليس ويوريبديس والتي كانت مودعه بصفة رسمية فـــي خـــزائن المدينة ليقوم بنسخها في الإسكندرية وردها ثانية [4]. ونظيـــر

---

[1] د . مصطفي العبادي ، مكتبة الإسكندرية القديمة ص 13،ص14

[2] المرجع السابق، ص 14

[3] د . نبيل راغب ، عصر الإسكندرية الذهبي رؤية مصرية علمية ، ص 55

[4] المرجع السابق ، ص 55

تسليمه تلك الأصول أودع في أثينا مبلغ 15 تـــالنتون مـــن الفضة ضمانا علي سلامة المخطوطات . ولكن الذي حـــدث إنه أخذ المخطوطات ونسخها ورد النسخ واحتفظ بالأصل في الإسكندرية وخسر بذلك هذا المبلغ الضخم . وذلك يوضـــح حرص البطالمة الفائق للحصول علي المخطوطات الأصـــلية للكتب إدراكا منهم لمدي الخطأ والتحريـــف أو النقصـــان أو الزيادة التي يمكن أن تقع في النسخ علي مدي الأجيال[1] .

4- شراء الكتب بأي ثمن : حيث كان يتم شراء الكتب بأي ثمن ، حسب خطة منظمة، وتجمـــع بأشـــكال شـــتي كـــل المخطوطات الموجودة في ذلك الوقت وخاصة التي نعـــرف إنها وصلت من أثينا ورودس وبرجامون، حيث كانت تنتشر دكاكين الكتب الغنية بما تحويه .

5- مكتبات الخاصة اليونانيين : لقد كان لها عظيم الأثر في تزويد مكتبة الإسكندرية بما تحتويه من كتابات نفيسة .

---

[1] د . مصطفي العبادي ، ص51

المشكلات التى واجهت العمل داخل المكتبة:

وهذه المسألة على درجة كبيرة من الأهمية لعدة أسباب منها[1]:

1- أن الكتب التي تسلمتها المكتبة كانت في حالة رثة من حيث الحفظ والكمال ، فلم تكن بها:

- صفحة العنوان
- صفحة محتويات
- صفحة فهرس
- رؤوس الفصول
- عناوين كبيرة
- وأحيانا كانت تفتقد اسم المؤلف
- اسم الكتاب

وقد تسببت كل هذه الأمور فى صعوبة العمل داخل المكتبة ، وصعوبة التعامل مع الكتابات التى وصلت إلى المكتبة .

---

[1] د. خالد الحديدي ، الوجة العربي لمكتبة الإسكندرية القديمة و مدرستها،1996 ص 43 و ص44

2- ثلاثة أرباع الكتب كانت عبارة عن لفائف تضم خليط ـا من الكتب التي تحوي أكثر من عمل واحد وكذلك كتب أكبر مثل: قصائد هوميروس التي كانت تشغل عدداً كبيــراً مــن المجلدات .

3- أما الأعمال التي استغرقت وقتا طويلا فتتمثل فى فــض لفيفه من لفائف الكتب أملا في التحقيق لمجلد غير مكتمل عن طريق دليل اوأدلة توجد بداخلها[1] .

عدد الكتب

1- فيما يتعلق بمجموعات الكتب فلم يصلنا رقم متفق عليــه وإن ما وصلنا فإنه قد يرتبط بشخص ما في فتــرة بالــذات فليس هناك تتابع في الإحصاء [2] .

2- ويرجع اختلاف الآراء حول عدد الكتب كانت في المكتبة الأم إلي أن المكتبة بدأت صغيرة ثم أضاف إليها كل من :--

أ - بطليموس الثاني (فلادلفيوس) عدداً كبيراً من الكتب .

ب - بطليموس الثالث

---

[1] Fred Lerner, Libraries Through The Ages, p.22.

[2] شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب و المكتبات في العصور القديمة ، ص 286

كما أن أعداد الكتب كانت تتناقص عقب كل حريق أو ثورة، ثم تعود فتزيد [1].

3- يبالغ البعض فيقول إنه كان هناك مليونان مـــن لفافـــات البردي ويهبط البعض الأخر بهذا الـــرقم نصـــف مليـــون، ويتوسط البعض فيقدرها مليون إلي 700 ألف لفافة[2] .

4- وقد قيل إنه كان بالمكتبة

- 200 ألف لفافة في أواخر أيام حكم بطليموس الأول
- 100 ألف لفافة في أواخر أيام حكم بطليموس الثاني
- 700-900 ألف لفافه في أيام يوليوس قيصر

5- أن هذه الأرقام المتضاربة لا تعرف إذا كانـــت تشـــير إلي:-

- عدد المؤلفات ، أوعدد اللفافات حيث إنه كانت هناك عدة مؤلفات مكتوبة في لفافة بردية واحدة ،وعدة لفافات برديـــة مشتملة علي مؤلف واحد .[3]

---

[1] د. خالد الحديدي الوجة العربي لمكتبة الإسكندرية القديمة و مدرستها ، ص 46

[2] شعبان عبد العزيز خليفه ، الكتب و المكتبات في العصور القديمة ، ص 286

[3] د. نبيل راغب ، عصر الإسكندرية الذهبي ، رؤية مصرية علمية ، ص 62

الدكتور مصطفي العبادي ترجم نصا عثر عليه في هـامش احدي روايات ارستوفانيس وهو تعليق لأحد الشراح، وقـد ورد في هذا النص أن المكتبة كانت تقع في مكانين أحـدهما في المتحف (الموسـيون) وكـان فيهـا 400 ألـف لفافـة مجموعات ، 90 ألف لفافه أعمال فردية . والمكان الثـاني كان في معبد السرابيوم وكان به 42.800 كتاب ، ومعنـي هذا أن مجموع اللفافات وصل إلي نحو 540.00 لفافة . وقد أستند كاتب هذه الحاشية علي معلومات استمدها من فهارس كاليماخوس الذي عمل في المكتبة في بدايتها بين 260-240 ق.م .

ومن المؤكد ان المكتبة أخذت في النمو المطرد بعد ذلـك مما يجعل التقديرات الأخرى محل اعتبارات أيضا .

ومع هذا لا ينبغي أن يتبادر إلي الذهن أن هذه الأجزاء أو المخطوطات كانت كتبا بالمعني الحديث، أو إنها كانت فـي شكل الكتاب، كما هو مألوف في المخطوطات العربية التـي وصلتنا من العصور الوسطي .

إن شكل الكتاب الحديث لم ينتشر استخدامه إلا مع القرن الرابع الميلادي ، وهو ما يذهب إليه الدكتور العبادى .

يستنتج من كل ما تقدم أن البحوث الحديثة قطعت شـوطا كبيراً فى سبيل إلقاء الضوء على المكتبة القديمة ومابها من عناصر ومكونات ، أكثر مما كانت تصوره لنا البحوث السابقة . وهذا يعنى بالضرورة أن العلماء يبذلون الجهد المتواصل للكشف عن الجوانب الخفية فى مكتبة الإسكندرية القديمة من أجل استجلاء حقائق وجودها .

ويقرر الأستاذ زكى على أن الإسكندرية شهدت طوال القرون الثلاثة من حكم البطالمة أحداثاً عظيمة تركزت فيها آمال البطالمة الذين اختصوها بجل عنايتهم، فكان حظها من النجاح وافراً، كما كان تقدمها سريعاً. وفى اطار الاكتشافات الحديثة التى يقوم بها العلماء تمنى هذا العالم والمؤرخ أن تكشف أعمال الحفر والتنقيب التى تجرى عن آثار تزهو بها الإسكندرية على غيرها من مدن مصر القديمة، كما يرجو لها أن تستعيد سيرتها الأولى. لكن قبل أن نتابع هذا الجانب لابد لنا أن نتوقف عند مصادر معلوماتنا عن العصر البطلمى

والإسكندرية البطلمية . ما هى هذه المصادر؟ هذا مـــايتعين علينا معرفته .

هنا نأتي أولا إلي نقطة حاسمة ونتساءل معرفيـــا عـــن "مصادر المعلومات المصرية الخاصة بالعصــــر البطلمـــي" وهو ما أفرد له الدكتور مصطفي الأمير مقالة مهمة حيـــث يقرر في مطلع مقالته أن تاريخ مصر ينقسم إلـــي شـــقين ؛ أحدهما إيجابي ويتمثل في الفترة التي أبدعتها وطورت فيها مصر ثقافتها الخاصة ، أما الشق لآخر ، فهو شـــق ســـلبي ويتمثل في الفترة التي خضعت فيها مصر للقوى الأجنبية.

أما الشق الأول فيغطي قرابة ثلاثة آلاف عام (3200 – 332 ق. م) ، أما الشق الآخر فيبدأ مع غـــزو الإســـكندر الأكبر لمصر فـــي عـــام 332 ق. م وينتهـــي بـــإعلان الجمهورية في عام 1952 ميلادياً.

ففي هذه الفترة الأخيرة فقدت مصر اســـتقلالها وقرارهـــا السياسي ، وأصبحت جزءاً مر إمبراطورية الإســـكندر ، أو إن شئنا القول جزءاً من العـــالم الهللينســـتي عنـــدما تـــوفي

الإسكندر فجأة وآلت مصر لأحد قــواده المقــدونيين وهــو بطلميوس ابن لاجوس والذي حكمت ذريته مصــر لقرابــة ثلاثة قرون (323-31 ق.م) هذه الفترة تعرف في التــاريخ بالعصر البطلمي وهي الفترة التي وضعت مصر لأول مــرة في تاريخها تحت الحكم الأوروبي . ولقد حكم البطالمة مصر بوصفهم ملوكا فراعين حيث حل البطالمة محل الفراعنة في حكم مصر .

وفي هذه الفترة فرضت قلة من الإغريق لغتها وثقافتهــا علي المدن اليونانية التى كانت موجودة فى مصر، في حين ظلت الغالبية العظمى من الشعب المصرى محافظــة علــي ثقافتها ولغتها ونظمها الإدارية والعقائدية .

ويطرح المؤلف سؤالا مؤداه : هل أثر الإغريــق علــي الثقافة المصرية وهل تــأثر أهــل مصــر فعــلا بــالروح الإغريقية؟ وهل أثــر الإغريــق علــي الثقافــة والعــادات المصرية؟

للإجابة علي هذا الاستفسار يــذكر المؤلــف أن الآثــار المصرية التي نفذت في هذه الفترة تنطق بنفسها لتجيب علي

هذا الاستفسار دون الحاجة إلـــى الاعتمـــاد الكامـــل علـــي المصادر الكلاسيكية ، فالآثار المصرية شاهد علي العصـــر حيث تم نقشها بالهيروغليفية وبقايا اللغة الأثرية في مصـــر تثبت أن المصريين قد حافظوا علي هويتهم في المدن غيـــر اليونانية، حيث عاشوا وفقا لعـــاداتهم وثقـــافتهم المصـــرية الموروثة .

وفي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ظهر وتطور علم البردي وهو علم يتناول الوثائق البردية القديمـــة المكتوبـــة باللغة الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقيـــة واليونانيـــة واللاتينية والقبطية والعربية علي البـــردي المكتشـــف فـــي مصر. ولقد أثبتت الدراسات البردية أن البرديات اليونانيـــة واللاتينية تغطي فترة ألف عام منذ بداية العصر البطلمـــي وحتى الفتح العربي لمصر (332 ق.م _640 م) . ولقـــد فتحت هذه البرديات مجالات عدة للدراســـة والبحـــث فـــي التاريخ السياسي والاقتصادي وفي فقه اللغة وعلم الاجتماع والقانون وهي تعطي صورة كاملة لحياة البسطاء فـــي هـــذا البلد . بالإضافة للوثائق البردية الكلاسيكية فالوثائق البرديـــة

الديموطيقية ، علي قلتها ، إلا إنها هي الأخرى علي جانب كبير من الأهمية في هذا المضمار ولا سميا في مجال العقائد والسحر بالإضافة للنصوص القانونية التي تلقي الضوء علي القانون المصري القديم .

وتعد الوثائق الديموطيقية التي يحويها متحف اللوفر بفرنسا علي جانب كبير من الأهمية . وهناك أيضا مجموعة برلين البردية التي تعد علي جانب كبير من الأهمية في إلقاء الضوء علي النواحي الطبوغرافية لطيبة . وهناك مجموعة مانشيستر البردية التي نشرها جريفيث في عام 1909م. وهناك أيضا مجموعة المتحف البريطاني ومجموعة اللوفر. ويخلص المؤلف إلى أن الدراسات البردية المتنوعة تثبت أن المصريين قد حافظوا علي هويتهم الثقافية والدينية في العصر البطلمي كما كانت عليه في العصر الفرعوني .

وفى رأينا أن الدور الثقافى البطلمى الذى أكد عليه الأستاذ زكى على إنما جاء ايمانا بدور العلماء والمفكرين ، واتساقاً مع تصورالبطالمة للمشروع الثقافى البطلمى ككل الذى رفع من مكانة العلماء والمفكرين.

وانطلاقا من هذا الفهم للدور الثقافى للإسكندرية كان لابد لأحد علماء وأساتذة جامعة الإسكندرية أن يتناول بعض المظاهر المهمة للأدب والشعر باعتبارهما من أخص المظاهر الثقافية فى أى حضارة ، فكان أن قدمت الدكتورة فاطمة سالم مقالتها الأدبية الرائعة عن" فن الشعر لهوراتيوس" التى صدرت عام 1965 دراسة تحليلية نقدية دقيقة لروح الأدب في عصر البطالمة، وقد صحبت هذه الدراسة بترجمة لهوراتيوس . وهذه المقالة تدعم بصورة فاعلة الدور الثقافى الذى أراد الأستاذ زكى على أن يشير إليه منذ البداية ، ويجعله يؤكد غلى امتزاج الروح الثقافى فى مكون هذه المدينة العالمية .

لهذا تبدأ الدكتورة فاطمة سالم ببيان أن النقد الأدبي قد تطور تطوراً يتجاوب مع تقدم الفكر اليوناني ، فهو ثورة فكرية قام بها الفلاسفة الأيونيون، وتزعمها الشاعر الفيلسوف كسينوفانيس الكولوفوني ضد أساطير هوميروس التي تنسب إلي الآلهة كل رذائل الإنسان .

ثم ازدهر الأدب في القرن الخامس ووصل إلي قمته ، ودرس الشعر كفن ، وقام بنداروس يتحدث عن قوانين الفن، وقوانين الترتيل ويصدر أحكاماً علي القيم الخاصة بالإلهام وبفن الشعر ، فالشاعر يرتكز علي الإلهام والموهبة الطبيعية، أما الفن فهو عديم الفائدة في نظره . وتتحدد البداية العلمية الجدية للنقد بمسرحية الضفادع لأريستوفانيس التي تتلخص في أن ديونيسوس إله المسرح صمم علي الذهاب إلي العالم الآخر ليعود بشاعر مأساة إلي الأرض، يعيد إلي المأساة مجدها الضائع . ثم جاء أفلاطون ولعب دوراً هاماً في تاريخ النقد ، فهو صاحب النظرية المثالية في الفلسفة التي حاول أن يفسر من خلالها ظواهر الوجود المختلفة .

وتذهب الدكتورة فاطمة سالم أن العصر المتأغرق لا يشتهر بنظرية أدبية هامة، ويرجع السبب في ذلك إلي ضياع وثائق هذا العصر ، وإن كان تاريخه قد أمكن جمعه من رؤس كتب مفقودة ، ويرجع أيضاً إلي أن العصر نفسه لم ينتج نظريات أدبية يمكن أن تقارن في جدتها بنظريات القرن الرابع في أثينا .

واشتهرت فترة العصر المتأغرق أيضاً بنشر نصوص هوميروس ونقدها ، ونصوص كتاب المسرحية والشعر الغنائي . ومن أهم العاملين في هذا الحقل أراتوسثينس وأريستوفانيس ، وأرستارخوس وزولوس وغيرهم من معاصري زينودوتس المتأخرين . وبعد أن تقدم الدكتورة فاطمة سالم تحليلاً رائعاً لخصائص الشعر عند هوراتيوس ، تعرض " نص " فن الشعر لهوراتيوس لتختم به بحثها.

ويتوج المظهر الأدبى للإسكندرية ما ذكره الدكتور حسن عون فى مقالته عام 1949 التى دونها بعنوان " المكانة الأدبية لمدينة الإسكندرية فى عهد البطالمة" ، حيث أشار فى البداية إلى تخطيط المدينة وبناءها ، مبينا أن الحركة الثقافية الجديدة تركزت فيها ، وهذا ما جعلها تبدو فى أوج عظمتها فى فترة يسيرة من الزمن .

وبعد أن يشير إلى العوامل التى ساعدت على ازدهار تلك الحركة الأدبية ، يسرد عدداً من الانجازات متمثلة فى عدد من الأشخاص منهم بطبيعة الحال ديمتريوس الفاليرى، وكليومين الثالث الذى كان ملكا لاسبرطة ، ولم تكن شهرته

فى الأدب أقل من شهرته فى السياسة ، وثيوكريتوس الذى يعتبر بحق المبتكر الأول لنوع جديد من الشعر عرف بشعر الرعاة ، وكاليماخوس الشاعر والمفهرس المعروف . ومن أهم ما يذكره الدكتور عون أن معظم هؤلاء الأدباء فروا من بلادهم نتيجة الاضطهاد فاستقبلهم ملوك الإسكندرية . وهذا يعنى أن الإسكندرية على امتداد تاريخها مثلت التسامح بين الفئات والثقافات المختلفة التى عاشت فيها ، وأن هذا التسامح كان ينبع من امتزاج الثقافات وروح الشرق ؛ وأن بذور الاضطهاد والارهاب لم يطب لها المقام فى هذا البلد الآمن .

ويهمنا فى هذا الصدد أن نقدم بعض ما قدمه الدكتور حسن عون فى مقالته الرائعة لأنها مقالة متفردة فى بابها ، ولم تحظى مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية بمقالات أخرى تسير على نفس نهجها وتعمق الدراسات والأفكار التى تناولتها . لننظر إذن فيما يذهب إليه الدكتور حسن عون فى مقالته القيمة التى يجب أن تسير البحوث الأدبية على نهجها.

يقول الأستاذ عون :

لقد تم بناء الإسكندرية وتركزت فيها بسرعة حركة ثقافية من علم وأدب وفن ، ثم إنها قد بلغت أوج عظمتها في فترة يسيرة من الزمن ، ولو كان يساوره بالنسبة لها من أحلام . ولقد اتجهت عناية القائمين بالأمر أولا إلى الناحية الثقافية ، ففي نفس الوقت الذي تأسست فيه مدينة الإسكندرية تأسس فيها معهد للعلم فلنترجمه بمدرسة الإسكندرية أن أحببنا أو بجامعة الإسكندرية أن أردنا ، وبجانب هذه الجامعة أنشئت دار للكتب ومساكن للطلبة والأساتذة ، ومراصد لملاحظة النجوم الكواكب السماوية ، ومعامل للعلوم التجريبية .

ولم يجد ملوك لبطالمة الأوائل صعوبة في استدعاء العلماء من مختلف البلاد وفي مختلف الفنون كي يعمروا جامعة الإسكندرية وينشروا لواء معارفهم علي مدن العالم المتحضر إذ ذاك . وتلك ظاهرة امتاز بها الفاتحون من اليونان علي الرومانيين الفاتحين فيما بعد ، فبينما نجد هؤلاء يحاولون جهدهم تركيز سلطانهم السياسي والأدبي في روما وحدها فيجلبون إليها العلماء من سائر الأقطار ، والآثار من

سائر الفنون . إذ نـري أولئـك يهتمـون بإنشـاء المـدن والمؤسسات العلمية والفنية في سائر البلاد التـي يفتحونهـا ومن هنا تتحقق العبارة المشهورة التي قالهـا أحـد النقـاد الفرنسيين (لقد غزا اليونان الدنيا وأعينهم في السماء ، أمـا الرومان فقد غزوا الدنيا وأعينهم في الأرض) .

وهناك عوامل عدة قد ساعدت جامعة الإسـكندرية علـي تحقيق أغراضها في ظرف وجيز من الزمن .

فمن هذه العوامل صلاحية البيئة من الناحية العلمية ومما كانت تمتاز به من حرية واستقلال واستقرار ، وهنا لا نجـد بدأ من الإشارة إلي الأثر العميق الذي تـأثرت بـه جامعـة الإسكندرية من جامعات مصـر الفرعونيـة ، وخصوصـا جامعة هليوبوليس وجامعـة ممفـيس : الأولـي بعلومهـا التجريبية كالحساب والهندسة والطـب والفلـك ، والثانيـة بعلومها النظرية كالفلسفة والدين . وقد انتقل هذا الأثر إلـي جامعة الإسكندرية ، إما عن طريق علماء اليونـان أنفسـهم الذين جاءوا من قبل يدرسون العلم في هـاتين الجـامعتين ، وإما عن طريق قساوسة الفراعنة الذين كانوا علي اتصـال

مباشر أو غير مباشر بأساتذة العلم في جامعة الإسكندرية أيام عهدها الأول .

ومن هذه العوامل أيضا ما عرف عن ملوك البطالمة من كرم وسخاء ، وخصوصا بطليموس الأول والثاني والثالث ، إذ كانت الأرزاق تجري عن سعة علي الطلاب والأساتذة ، وكانت الآلاف المؤلفة تنفق علي شراء الكتب وآلات الرصد وعمل التجارب . وأن من يدرس بدقة تاريخ هؤلاء الملوك ويدرك مبلغ ما كانوا ينفقونه من مال علي الجامعة ولوازمها ومبلغ ما كانوا يقومون به من تشجيع أدبي ، ليفهم في غير عناء إلي أي حد كان هؤلاء الملوك يهدفون إلى أن تسود مدينة الإسكندرية جميع مدن العالم المتحضر إذ ذاك ، ولقد وجدت بينهم وبين غيرهم من الملوك المعاصرين شبه منافسة علي تلك السيادة الأدبية . وقد أعانهم علي ذلك بلا شك ما وجدوه في مصر من كنوز علمية نفيسة وكنوز مالية خصبة.

وهناك عامل آخر خارجي ولكنه لا يقل أهمية عن العاملين الأولين ، ذلك هو الضعف المسيطر علي مدن اليونان الجامعية في ذلك الوقت سواء أكان ذلك في بلاد

اليونان أنفسهم مثل مدينة أثينا أم في مستعمراتهم المنتشرة في حوض البحر الأبيض المتوسط مثل مدينة (سيراكوزا Syracusae) في جزيرة صقلية ومدينة " قورين "Cyrene في شمال أفريقيا ، إذ كانت هذه المدن في شبه انحلال سياسي. وليس من شك في أن الضعف السياسي يصحبه غالبا ضعف أدبي .

كان الانحلال السياسي إذن في بلاد اليونان وفي مستعمراتهم عاملا قويا من عوامل الرقي الأدبي لمدينة الإسكندرية . وها هي بعض الأمثله لتتبين إلى حد قد استفادت مدينة الإسكندرية من هذا الانحلال الخارجي : المثال الأول " ديمتريوس الفاليري " وهو من رجال السياسة والأدب في أثينا ، كان هذا السياسي خطيبا من أقدر الخطباء ومؤرخا من أكبر المؤرخين ، ولكن جرائم السياسة قد لحقته فثار ضده الاتينيون ، واضطهدوه فلم يجد بدا من الفرار ففتحت له مدينة الإسكندرية أبوابها . وقدم إليه بطليموس الأول معونته الأدبية والمادية فأقام في كنفه حتى مات في عام 283 ق.م. أي قبل موت الملك بعام واحد .

ومن هذه الأمثلة أيضا " كليومين الثالث Cleomenes III" وكان ملكا لاسبارطه . ولم تكن سهرته في الأدب أقل من شهرته في السياسة ، ولكنه دفع بدوره أيضا ضحية من ضحايا السياسة وعدم استقرارها في اسبارطه ، إذ انه حين لم يتمكن من مقاومة الثائرين عليه ، فر بدوره إلى الإسكندرية ومكث بها حتى نهايته المؤلمة في عام 222 ق.م.

وكذلك نجد " ثيوكريتس Theocritus " وهو من أكبر شعراء اليونان في العالم القديم ، نشأ في مدينة (سيراكوز) في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد . وكانت هذه المدينة مستعمرة يونانية مزدهرة في جزيرة صقلية.

يعتبر هذا الشاعر بحق المبتكر الأول لنوع جديد من الشعر عرف بشعر الرعاة . وكان تأثير هذا النوع من الشعر بعيد المدى عند شعراء الرومان وخصوصا (فيرجيل Virgilius) أكبر شاعر في روما . انتقل " تيوكريتس " إلي جزيرة (كوس Kos) وهي من جزر ايجه ، ثم منها إلى جزيرة سيسل يطلب معونة الملك (هييرون Hieron)

ملك سيراكوز Syracusa ، ولكن مدينة الإسكندرية كانــت أوسع من غيرها رحابا لهؤلاء الأئمة المضطهدين ، وملوكها أكثر عونا ومددا من غيرهم من الملوك ، فجاء " ثيوكريتس" إلى الإسكندرية واستقر بها بعد أن حبب له فيها المقام .

ومن هذه الأمثلة أيضا (كاليمـــاخوس Callimachos) وهو من الأدباء البارزين والمبتكرين في العالم القديم ، نشـــا في " قورين " وكانت مستعمرة يونانية شمال أفريقيـــا فـــي غرب مصر ، ثم انتقل إلى أثينا وأقام فيها طـــويلا ، وقـــد مرت عليه أعوام من الضنك والبؤس لم تنته إلا بإيواء ملك الإسكندرية إياه ، فادخله مكتبة الجامعة كمشرف علي جـــزء كبير منها ، وربما كان مديرا عاما للمكتبة بأكملها .

ولم تقف همة ملوك الإسكندرية وعنايتهم عند حد إيـــواء الفارين من البؤس ، والمضطهدين من السياســـة ، ولكـــنهم كانوا يبعثون برسلهم لاستدعاء أئمة العلم وسادة الأدب مـــن مختلف البلاد ، باذلين في سبيل ذلك كثيـــراً مـــن وســـائل الأغراء .

ولعل أوضح مثال لذلك هو (فيليمـون Philemon) ، وكان شاعرا مسرحيا من أكبر شعراء الكوميديا ، نشا في (كيليكيا) وكانت مستعمرة يونانية أيضا في آسيا الصغرى ، دعاه بطليموس إلى الحضور إلى الإسكندرية فلبـي الـدعوة وجاء ينشر معارفه بين الأساتذة والطلاب ، ويعـد هـؤلاء وأولئك إلى التوسع في ميدان الأدب من ناحية النقد والإنتاج.

هؤلاء العلماء وكثير غيرهم يضيق هـذا المقـال عـن التعريف بهم ، فقد وجدوا في الإسكندرية مكانا خصيبا فالقوا فيه بذور معارفهم ، فنبتت ، وسرعان ما أينعت وأثمرت .

بهذه العوامل مجتمعة قد تركزت في مدينـة الإسـكندرية حركة أدبية علمية واسعة النطاق ، وبدل أن كانـت تتلقـي معارف اليونان وتحذو في الدرس حذوهم ، بدأت تنقد هـذه المعارف ، ثم نؤلف وتبتكر فأصبح لها في الطب وفي الأدب وفي الفلسفة وفي الرياضة وفي الجغرافيا آراؤها الخاصـة ومذاهبها الجديدة . ولهذا فقد سادت مدينة الإسكندرية غيرها من المدن الجامعية المعاصرة ، وأصبح يطلق عليها بحـق (

الوراثة لمدينة أثينا) كما يسميها بعض العلماء الأوروبيين ، أو (أثينا الشرق) كما يسميها البعض الآخر .

منذ ثلاثة أعوام القي أحد الأساتذة في جامعة السوربون – وهو اختصاصي في الآداب القديمة – محاضرة عن الثقافات في العالم القديم . وعن مراكزها الرئيسية المختلفة ، تتلخص هذه المحاضرة في أن البحر الأبيض المتوسط كان المحـــور الأساسي لتلك الثقافات ، وأن مراكزها تدور حوله من وقت إلى آخر . فأول مركز ثقافي هو مصر الفرعونيـــة وكانـــت مظاهر تلك الثقافات ممثلة في جامعاتهـــا : هليوبـــوليس – ممفيس – طيبة . ثم اتجه ذلك التيار الثقافي بعد ذلـــك إلـــى الغرب فاحتضنته اليونان وتركز أولا في مدينة أثينا ثم انتشر بعد ذلك في المستعمرات اليونانية العديدة .

ومنذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد عاد ذلك التيار مـــرة أخرى إلى مهده الأول ولكنه تركز في مدينة الإســـكندرية ، واستقر بها حتى أوائل القرن الأول مـــن مـــيلاد المســـيح . وأخيرا اتجه مرة ثانية إلي الغرب ولكنه أستقر فـــي مدينـــة روما . ودام حتى أخر القرن الرابع بعد الميلاد .

ومن ذلك نرى أن مدينة الإسكندرية قد لعبت فـــي نشـــر الثقافة القديمة دورا له خطره ، وأن من يدرس تاريخ رومـــا وتاريخ الأدب اللاتيني ليدرك إلي أي حد كان كتاب الرومان وأدباءهم متأثرين بثقافة الإسكندرية في درسهم وفى إنتاجهم.

لم تكن الدراسة في جامعة الإسكندرية مثل ما نعهــد الآن من الدراسة في الجامعات الحديثة . وها هي صورة من نظام الدراسة في تلك الجامعة تنقلها عن أحد المؤلفين الفرنســيين المعروفين بأسم (كوات CAUAT) من كتابه يقول هــذا الكاتب بعد أن تكلم طويلا عن جامعة الإسكندرية.

"ولقد كان أئمة الجامعة أساتذة ومؤلفين في نفس الوقت . وكان لأشهر العلماء فيها طلاب يفدون ليتلقوا عنهم القواعــد التعليمية , وأشهر علماء النحو في ذلك العصر كانوا طلابــاً طورا وأساتذة طورا أخر . وبعضهم قضى كل حياته بــين جدران الجامعة ولم تعهد مدرسة أخرى أكثـــر حريـــة فـــي دراستها من الدراسة في تلك الجامعة ، فلم يكن هنـــاك مـــا نعهده الآن في مدارسنا الحديثة من الاضطرار في الحضور ومن المواظبة المنظمة ، بل كانت هناك أحاديث ذات صبغة

جديدة وأبحاث يشترك فيها الجميع ، واحترام طبيعي من الصغار إلى الكبار ، وتمسك وثيق بتقاليد أدبية وعلمية ، تلك هي طريقة الدراسة في الجامعة كما أتصورها ، ومع ذلك فقد كانت هناك دروس متوالية لعدد من الشبان ، بل ولعدد من الأطفال ، وأكثر العلماء شهرة لم يكن يترفع عن إعطاء مثل هذه الدروس ولا عن مخالطة هؤلاء الصغار وتعليمهم مباشرة .

هذا هو نظام الدراسة في جامعة الإسكندرية القديمة كما يصوره لنا هذا الكاتب الفرنسي . ولو أضيف إلى ذلك ما عرف من نظام الحياة فيها وما كان هناك من انقطاع تام للدرس والتحصيل حيث يقطن الأساتذة والطلاب في مساكن خاصة وتجرى عليهم الأرزاق عن سعة من خزانة الدولة ، وهو بمعزل تام عن مشاغل الحياة ومشاكلها الخارجية . لو أضيف ذلك إلى وصف الكاتب الفرنسي ولو أضيفت إلي ذلك ما عرف من نظام الحياة فيها ، وما كان هناك من انقطاع تام للدرس والتحصيل حيث يقطن الأساتذة والطلاب في مساكن خاصة وتجري عليهم الأرزاق عن سعة من خزانة

الدولة ، وهم بمعزل تام عــن مشــاغل الحيــاة ومشــاكلها الخارجية . لو أضيف إلي وصف الكاتب الفرنسي لاستطعنا أن نجد – في يســر – صــورة مشــابهة تمامــا لجامعــة الإسكندرية القديمة في الجامعة الأزهرية قبل أن ينالها هــذا النظام الحديث أي قبل ربع قرن تقريبا .

وليس من شك في أن أهم مؤسسة ألحقت بالجامعة وكــان لها أبعد الأثر في رفع شأنها ونشر لــواء المعــارف هــي المكتبة ، وكان الغرض من إنشائها هــو أن تفــي بحاجــة الأساتذة وتعين الطلاب الباحثين علي الــدرس والتحصــيل. ونحن لا نستطيع أن نمضي في هذا البحــث دون أن نقــف وقفة قصيرة عند هذه المكتبة لنتبين قيمــة الثــروة الأدبيــة والعلمية التي تحتويها هذه المؤسسة بين جــدرانها . كانــت مكتبة الإسكندرية القديمة تعتبر أغنــي مكتبــة فــي الــدنيا حينذاك. إذ لم يتيسر لأي مكتبة أخرى في أي بلد آخــر أن تجمع من المجلدات العلمية والآثار الفنية بقدر مــا جمعــت مكتبة الإسكندرية . وفي هذه المكتبة كــان يجمــع الأدبــاء والعلماء لتنظيم الكتب ثم شرحها والتعليق عليها . وقد بلــغ

عدد المجلدات التي كانت تحتوي عليهـا 700000 مجلـد وهذا عدد عظيم جدا إذا قيس بغيره مما كانت تحتوي عليـه المكتبات في ذلك الزمن .

ولقد بلغت مكتبة الإسكندرية بفرعيها من الثروة العلميـة، ومن دقة النظام ومن حسن الإدارة ومن كثرة النفقات درجة الإتقان في ذلك العالم القديم حتى لقد اتهم الكاتب المشـهور سنيكا، وهو أحد أدباء الرومان، ومن أكبر فلاسفتهم الغايـة من تلك المكتبة فهو يري أنها تمثل مظهرا من مظاهر البذخ والثراء لملوك الإسكندرية . ولو أن هذا الكاتـب اللاتينـي عاش ربع قرن فقط أكثر مما عاش لرأي بنفسـه الخـدمات العلمية الجليلة التي أدتها البقية الباقية من مكتبة الإسـكندرية إلي مكتبة روما : ذلك أنه فـي أثنـاء حكـم الإمبراطـور دومتياس شبت النار في روما ، وكانت مما ذهب ضـحية لذلك الحريق المكتبات العامـة فـي العاصـمة ولـم يجـد الإمبراطور حينئذ بدا من أن يرسـل بعثـة خاصـة إلـي الإسكندرية مهمتها علي ما في مكتبتها من مجلدات ثم نسـخ ما يمكن نسخة منها وتصحيح ما بقي لديهم من كتـب لكـي

يكون ذلك نواة لاعادة مكتبة روما ، ولم يكن في الإسكندرية حينئذ إلا المكتبة الفرعية فقط .

استمرت مكتبة الإسكندرية منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد حتى حوالي منتصف القرن الأول قبل الميلاد وهي تمثل جزءا كبيرا من النشاط العلمي والثقافة الإنسانية لا في جامعة الإسكندرية وحدها بل في العالم المتحضر إذ ذاك .

ولقد أدرك ملوك البطالمة قيمة هذه المهمة فكانوا يختارون لإدارة شئونها وللإشراف عليها أكبر أساتذة العلم وأئمة الأدب كي يزيدوا في ثروتها العلمية بما ينتجونه من مؤلفات وفي ثروتها الأدبية بما كان لهم من شهره ومكانه بين المعاصرين .

وأول من عين لإدارة شئون هذا المكتبة هو زينودوتس Zenodotosمن مدينة كانت تعرف قديما باسم " Ephesus " في آسيا الصغرى وقد اشتهر بمكانته في الشعر القصصي وكان أول أديب يتصدي لنقد أشعار " هوميروس Homerus " الشاعر اليوناني العظيم .

ثم جاء من بعده " أبو للونيوسApollonius" وقد نشـأ في الإسكندرية ثم ذهب إلي جزيرة رودس علي أثر خـلاف بينه وبين كاليماخوس ولكنه عاد ثانية إلي وطنه كي يتـولي شئون المكتبة وينتج للأدب كتبا عديدة .

وبعد هذين الأديبـين جـاء العـالم الكبيـر المـدهش " إراتوستينيسEratosthenes " الذي ملأت شـهرته الـدنيا وغزت معارفه الأرض، فكان يعتبر وحده دائـرة معـارف وهو فوق مكانته في الفلسفة وفي الفلك وفي الجغرافيـا قـد كتب كثيرا في النقد وفي الأدب .

وهكذا قد توالي في الإشراف علي مكتبة الإسكندرية عالم بعد عالم أو أديب بعد أديب حتى جاء قيصر إلي الإسكندرية ممثلا لسلطان روما علي رأس كتائبة الرومانية.

وفي ذلك الوقت كان الخلاف شديدا بين كليوباتره وأخيها علي ملك مصر، وأعلن قيصر بأنه إنما جاء لحسم النـزاع وللتوفيق بين المتخاصمين ، ولكنـة أظهـر مـن التحيـز لكليوباتره ما اعتبره أهل الإسكندرية ماسا بكرامتهم فاجمعوا أمرهم وثارت ثائرتهم ، وأحاطوا بقيصر وجنوده وكاد الأمر

ينتهي لهم لولا استماتة قيصر، والتجاؤه إلي أعمال التخريب فكان مما صنع أن أعطي الأوامر لجنده بحرق الأسطول المصري وكان مرابطا في مياه الإسكندرية قريبا من الحي الآهل بالجامعة . وحصل هذا في عام 47ق.م انتقل اللهب من الأسطول إلي المكتبة الرئيسية فأتي عليها وذهبت ضحيته ثروة علمية وأدبية لا تعوض وكانت هذه أولي وأعظم النكبات التي أصيبت بها جامعة الإسكندرية . لقد روي كتاب الرومان أنفسهم هذا الحادث بشيء من الأسف .

بقيت المكتبة الفرعية وحدها وكانت كما ذكرنا جزء من معبد الآلهة " سيرابيس " ونستطيع أن نعتبر هذا الحادث حدا فاصلا بين عهدين متباينين في العهد الأول منهما كانت الإسكندرية تعتبر أهم مركز للنشاط الثقافي في العالم المتحضر إذ ذاك . وفي الثاني منهما بدأ نجم الإسكندرية يأفل و سيادتها الأدبية تضعف إذ أن روما بدأت تستلفت الأنظار وتشغل رجال العلم والأدب كما كانت تشغل رجال السياسة والحكم ومع ذلك فقد نهضت الإسكندرية في عهد كليوباتره ، واستطاعت أن تسترجع مجدها السياسي وتفرض

سلطاتها علي الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، فكانت أكبر منافس لروما في سيادة العالم إذ ذاك . ولكننا إذ نذكر هذا نقرر في نفس الوقت أن هذه النهضة كانت أشـــبه بنهضة المحتضر فكان تتابع الأحداث السياسية يستنفد مجهود الدولة ، ولذا لم يفكر أولوا الأمر في إعادة المكتبـــة وبقيـــت المكتبة بما فيها من طلاب وأساتذة معتمـــدة علـــي المكتبـــة الفرعية فقط .

استمرت هذه المكتبة بدورها تمثل نشاطا أدبيـــا محـــدودا حتى عام 389 بعد الميلاد وحينئذ قامت في الإسكندرية ثورة داخلية عنيفة نستطيع أن نسميها ثورة دينية إذ أنها كانت بين المسيحية والوثنية . انتهت هذه الثورة أيضا بأعمال التدمير وكانت المكتبة ومعها المعبد الديني ضحية لذلك التخريب .

لقد كان هذا الحادث مثاراً لخلاف طويـــل وآراء متباينـــة بين المؤرخين فمنهم من ينسبه إلي العرب أيام فتحهم لمصر، ومنهم من ينسبه إلي المسيحيين أثناء الثورة التي أشرنا إليها ونحن أمام هذا الخلاف لا نستطيع أن نمضي ســـريعا دون إبداء مالدينا من وجهة نظر .

ونحن إذ نساهم برأي في الخلاف إنما نعتمد في ذلك علي تتبع الحوادث وفهم الوقائع التاريخية بعد ربطها جميعا بعضها ببعض. ولسنا نبغي من وراء هذا غير الأنصاف العلمى .

إن من ينسب هذا الحادث ، من المؤرخين الى العرب لا يعتمد فى ذلك على دليل مادي ، بل على العكس من ذلك نستطيع أن نذكر من الأدلة ما يكفى للبرهنة على أن ضياع هذه المكتبة كان نتيجة لثورة المسيحيين ضد الوثنيين .

أولا : كان طابع الثورة كما رأينا طابعا دينيا ، وكان من أهم مظاهرها فى المدينة هو التخريب ، وليس من شك فى أن الهدف الأول لذلك التخريب هو معابد الآلهة الوثنية ، ثم تأتى بعد ذلك معاهد العلم التى كانت تدرس فيها تعاليم الديانة الوثنية ، أو تحفظ فيها آثار تلك التعاليم ، وإذن فقد كانت مكتبة الإسكندرية الثانية مزدوجا لتلك الثورة ، أذ أنها كانت تكون جزءاً من معبد الآله (سيرابيس) أكبر آله وثنى إذ ذلك ، وكانت فى نفس الوقت مستودعا هاما لآثار تلك الديانة الوثنية . ثم أن أعمال التخريب هذه لم تقف عند هذا المعبد

وحده ، بل تناولت غيره من المعابد الوثنية فى سائر المدن المصرية ، من الإسكندرية حتى جزيرة الفيلة ، فى أقصى الحدود المصرية من الجنوب .

وأنه لمن الحق أن نقرر أن هذه الأعمال كانت تصدر عن المسيحيين بدافع الإيمان الكامل بمبادئ المسيحية ، والعمل على نشرها ، ولن يتم لهم ذلك إلا إذ زالت آثار الوثنية التى لم تكن فى عقيدتهم إلا كفرا وضلالا.

ثانيا : لم نعثر حتى اليوم على أثر يثبت أن هذه المكتبة كانت موجودة فى الفترة التى بين الثروة المسيحية فى الإسكندرية وفتح العرب لمصر أيام عمر بن الخطاب .

ثالثا : أن ما عرف عن سياسة العرب فى فتوحهم لا يدل على أنهم كانوا يلجئون الى أعمال التخريب فى المعابد ، بل على العكس كانوا يحاولون جهدهم الاستيلاء على الكنائس والمعابد سليمة كى تحول فيما بعد إلى مساجد . وقد رأينا من آثار ذلك فى بلاد الشام وفى القسطنطينية ، وفى الأندلس ولعل هذا المظهر وحده هو الذى دعا كتاب الغرب إلى أن يقفوا من ذلك موقف الحيرة والتردد .

هذه هىالنهاية المحزنة لمكتبة الإسكندرية بفرعيها ،غير أن ذلك لم ينقص شيئا من القدر العظيم الذى ساهمت به رفع مكانة الأسكندرية الأدبية أيام البطالمة . وكذلك لم تنس الأجيال القادمة ذلك الدور الهام الذى قامت به على مسرح الثقافة الأنسانية .

لقد أشرنا فيما مضى الى أن حضارة الإسكندرية قامت على أساس حضارتين قديمتين . أولهما عن الحضارة المصرية ، والأخرى هى الحضارة اليونانية .

والحق أن جامعة الإسكندرية قد أستطاعت أن تمزج هاتين الحضارتين وتستخلص منهما حضارة جديدة فى أفكارها ومظاهرها ولذا فقد نسبها العلماء الى الإسكندرية واستمروا يطلقون عليها (الثقافة الإسكندرانية) .

هذه الثقافة الجديدة فتحت للعلماء آفاقا واسعة فى ميادين المعارف الإنسانية فهم بعد أن فهموا القديم نقدوه ، ثم أنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل ابتكروا وأنتجوا ، وهكذا أصبح لجامعة الأسكندرية فى الدراسة أتجاهات أخرى وفى الأنتاج مذاهب خاصة ، وذلك بفضل ما وصل أليه العلماء من

اكتشاف ، سواء أكان فى ميدان المعرفة النظريـــة كـــالآدب والفلسفة , والرياضة , والجغرافيا أم فـــى ميـــدان المعرفـــة العملية كالطب والهندسة ."

لقد تضافرت العوامل مجتمعة لتركز فى الإسكندرية حركة أدبية علمية واسعة النطاق ، وبعد أن كانت تتلقى معارف اليونان وتحذو فى الدرس حذوهم ، بدأت تنقد هذه المعارف ، ثم تؤلف وتبتكر فأصبح لها فى الطب وفى الأدب وفى الفلسفة وفى الرياضة وفى الجغرافيا آراؤها الخاصة ومذاهبها الجديدة . ولهذا سادت مدينة الإسكندرية غيرها من المدن المعاصرة لها ، وأصبح يطلق عليها بحق الوارثة لمدينة أثينا ، كما يسميها بعض العلماء الأوروربيين، أو أثينا الشرق كما يسميها البعض الآخر .

وفى هذا الاطار أيضاً وبعد نصف قرن وفى عام 2000 قدمت الدكتورة فكرية صالح بحثاً يدخل فى مجال الأدب والشعر بعنوان " رثاء الحيوانات عند الشعراء في العصر السكندري" لتكشف عن مظهر أخر من مظاهر الأدب فى العصر السكندرى حيث تعرض لبعض التصورات المهمة

عن الحياة الأدبية وتشعبها إد تؤكد أن الاتجاه الرومانسي والذي أصبح سمة من سمات الأدب السكندري ، كان سبباً وراء ظهور هذا النوع من أنواع الرثاء ، فالرومانسية تعبير عن الروح الفردية وعن الذات الإنسانية ، وهي تفسح المجال لظهور العواطف الذاتية والنزعات الفردية ، وأن التعاطف امتد في هذا الإطار إلي الحيوانات ومما أدي إلي تطور هذه الحركة تطور فن الابجراما .

وعلى صعيد فكرى آخر تكشف مقالة الدكتور سلاموني 1960 بعنوان " إرينا : شاعرة جزيرة تيلوس " عن جانب آخر مهم من جوانب الشعر فى الإسكندرية حيث يتناول الحديث عن الشاعرة إرينا المولودة في جزيرة تيلوس . لقد بدأت الشاعرة رحلتها مع فن الشعر في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد . ويذكر المؤلف أن هذه الشاعرة التي توفيت في سن مبكرة للغاية ، قد تعرفنا عليها من خلال بعض الشذرات والابجراما ، بالإضافة إلي قصيدة مكونة من ثلاثمائة سطر شعري منظومة في الوزن السداسي . وهذه القصيدة الأخيرة تعتبر خير شاهد علي عظمة هذه الشاعرة

التي اختطفتها يد المنون وهي لا تزال في زهرة شبابها المبكر . وهي تخلد بهذه القصيدة صديقها باوكيس . وهي تبث شجونها وحزنها علي فراق صديقها ، وهي تستعيد ذكريات طفولتها مع باوكيس وتتحدث عن ألعابها ودمياتها وتشير بشجن لذلك الزمن الجميل المنصرم.

وعلي الرغم من هذه الحياة القصيرة التي عاشتها إرينا إلا أن شعراء الإسكندرية المعاصرين لها قد كتبوا عنها ؛ ومنهم الشاعر اسكليبياديس أحد كتاب الابجراما الهللينستية، الذي نظم ابجراما رائعة عن إرينا. ولقد نظم أسكليبياديس الأبجراما علي لسان إرينا ، ناعتاً إياها بأعذب وأجمل الألفاظ . وفي القرن الثاني قبل الميلاد ، أحيا انتيباتر شاعر الأبجراما السكندري ذكري إرينا مذكراً بأعمالها الشعرية الرائعة ، واصفاً إياها بمغرد عذب الصوت وكيف أنها انتقلت إلي هاديس وهي تجمع أزهار ربات الشعر . ولقد شبه موتها المبكر ، برحيل برسيفوني الأسطورية إلي عالم الموت ، عالم هاديس .

ولقد سجل الشاعر السكندري انتيفانيس أعجابه الشديد بهذه الشاعرة الصغيرة. ولقد شارك ثيوكرتيس شعراء الإسكندرية أعجابهم بقصائد إرينا . ويخلص المؤلف إلي أن أسلوب إرينا في النظم ينتمي إلي أسلوب المدرسة الشعرية خاصة تلك المدرسة العريقة التى ينتمى إليها كل من: ثيوكرتيس واسكليبياديس . كما أن لغتها تقترب كثيراً من لغة ثيوكرتيس، فضلاً عن عذوبة ألفاظها وسهولة لغتها.

وتشير دراسة أخرى مهمة إلى نواحى الأدب والفكر والثقافة فى الإسكندرية الحديثة لتكتمل الرؤية ، ويتضح بصورة أكبر الدور الفاعل للأدب فى حركة الامتزاج الثقافى فى الإسكندرية الحديثة ليتواصل القديم والحديث معا من خلال تصور واحد . وهذه هي دراسة الدكتور عبد المحسن عاطف سلام التى قدمها عام 1959 عن "الحركة الأدبية في الإسكندرية الحديثة" . حاول الدكتور سلام في هذه الدراسة أن يبرر إفراد الإسكندرية بحديث مستقل عن حركتها الأدبية مؤكداً في الوقت نفسه علي أنه لن يحاول في هذا البحث أن يتتبع الظواهر العامة التي ميزت إنتاج الإسكندرية في

تاريخها الطويل بل سيقنع بالقليل ويرتضي بالحدود الضيقة التي يفرضها عنوان البحث وسينطلق من النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

يتحدث في البداية عن العوامل التي أسهمت في النهضة الفكرية بالإسكندرية ، ويحددها في عاملين هما كثرة وفود الأجانب واستقرار بعضهم في الإسكندرية ، وكثرة وفود السوريين واللبنانيين إلي مصر هرباً من تعسف الأتراك . ويعدد المظاهر التي شارك فيها هؤلاء في تفعيل الحركة الأدبية في الإسكندرية . كما يتحدث عن الترجمة الأدبية وقد أحصي ما يقرب من تسعين رواية مترجمة أخرجتها مطابع الإسكندرية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، كما أشار إلي ظهور المعاهد والجمعيات التي اقتصر بعضها علي العلم أو أخذ الآخر صبغة سياسية أو اجتماعية . كما تحدث عن إنشاء جمعيات التمثيل وتكوين فرقها التي أسهم فيها السوريون واللبنانيون بنصيب وافر. وتحدث عن إنشاء المكتبات العامة وأول هذه المكتبات هي المكتبة البلدية التي أنشئت في سنة 1892 ، ويفرد حديثاً

طويلاً عن تأثير الصحافة في النهضة الأدبية من خلال ما كتبه أديب اسحق ، كل هذا عهد به إلي الحديث عن النظرية الأدبية التي جاء بها بعض من الكتاب الذين عاشوا في الإسكندرية مثل عبد الرحمن شكري وإبراهيم زكي وخليل شيبوب وعبد اللطيف النشار وغيرهم.

يناقش تعريف عبد الرحمن شكري للشاعر من خلال ما كتب شعراً أو نثراً في جدال طويل ويعرض لما كتبه عن ثقافة الأديب ورؤيته لنشأة الرومانسية وعن أهمية شعراء التجديد ، ثم ينتقل إلي الحديث عن الشعر وتعريفه من خلال ما كتبه شكري والعقاد وخليل شيبوب ، ويتحدث عن وظيفة الشعر . ولم يقول الشاعر الشعر ؟ ويحدد وظيفة الشعر في أربع حاجات هى : الافصاح عن كل ما ينتابنا فى حالاتنا النفسية ، حاجتنا إلى نور نهتدى به فى الحياة ، حاجتنا إلى الجميل ، وأخيراً حاجتنا إلى الموسيقى .

والدراسة مازالت تحتفظ بحيويتها من الناحية التاريخية، وقد ألقت في وقتها أضواء لم تكن مسلطة بالشكل الدقيق علي إسهام هؤلاء الشعراء وبخاصة عبد الرحمن شكري في

تأصيل النظرية الشعرية الحديثة ، وإبراز جوانب القوة في الشعر حتي يستمر مؤدياً دوره المطلوب في الحياة الثقافية .

إن كل هذا يطلعنا على مسألة مهمة تتمثل فى أن علماء وأساتذة مدرسة الإسكندرية على امتداد سنوات طويلة كرسوا وقتا كبيراً لتناول الأعمال المهمة لأدباء وشعراء الإسكندرية القديمة ودراسة نظرياتهم الإبداعية ، وبيان جوانب الجدة والأصالة فيها ، انطلاقا من تصورات معرفية راسخة بأن مكتبة الإسكندرية القديمة التى مثلت رافداً مهما من روافد المعرفة والثقافة ، امتدت روحها إلى العصر الحديث . وكان من الطبيعى أن ينعكس كل هذا على الفكر السكندرى المعاصر فى مفرداته وكلياته .

وربما كان من الواجب أيضا أن نشير إلى أن هذه الدراسات تنامت ، بل وأصبح بعضها يشكل رسائل علمية متكاملة تعرض لفترات وحقبات محددة من الزمن وتناقش فيها قضايا الفكر والأدب والثقافة ، ونجد هذا على سبيل المثال فى الدراسة التى قدمها الأستاذ الدكتور فوزى أمين بعنوان " الحركة الفكرية والأدبية فى الإسكندرية فى القرن

السادس الهجرى " والتى قسمها إلى ثلاثة أبواب ، يتناول فى الباب الأول الحركة الفكرية ، حيث يعرض فى الفصل الأول للمعتقدات الدينية التى كان لها دور فى الحياة المصرية فى فترة القرن السادس الهجرى . وفى الفصل الثانى يتناول الحركة العلمية بجوانبها المختلفة من علوم دينية ولغوية . وأما الباب الثانى فيتناول بالدراسة الشعر السكندرى فى القرن السادس الهجرى ، حيث يعرض فى أول فصوله لأهم أغراض الشعر التى تناولها شعراء الإسكندرية فى القرن السادس . ويتناول فى الفصل الثانى ملامح البيــئة السكندرية فى شعر الشعراء . ويعرض فى الفصل الثالث لاهم السمات الفنية للشعر السكندرى . وأما الباب الثالث فقد تناول فيه النثر حيث عالج فى الفصل الأول فنون النثر . وناقش فى الفصل الثانى أهم المصنفات العلمية والأدبية لعلماء المدينة وأدبائها .

وإننى إذا كنت قد أشرت إلى هذه الدراسة من بين عشرات الدراسات الأخرى التى يزخر بها الفكر والأدب المعاصر عن الإسكندرية ، إنما لأدلل على ازدياد الاهتمام

بالدراسات السكندرية ، وأن هذا الاهتمام تجاور الطابع الشمولى العام الذى يقدم دراسات شاملة ، ليركز على فترات زمنية محددة أو دراسات محددة تغطى وتدرس بالتفصيل موضوعات محددة بصورة أكثر دقة وعمقا فى أبعادها المعرفية .

إن هذا الاهتمام المتزايد بالدراسات السكندرية والعلوم والمعارف فى الإسكندرية يشير إلى تواصل الروح ، ويشير أيضا إلى عمق البعد الثقافى الموروث فينا عبر الزمان . كما يشير بالضرورة إلى نظرة حب وعشق للإسكندرية نادرا ما نجد مثيلا لها فى التاريخ .

الفصل الثانى

البحث عن الإسكندر الأكبر

كان من الطبيعى أن يحظى الإسكندر الأكبر بعدد كبير من الدراسات فى مجلة كلية الآداب ، وأن يظل طيف وصورة هذا المؤسس الأول فى ذاكرة ومخيلة الباحثين والدارسين للإسكندرية المدينة. وهذه الدراسات مازالت فى نمو مطرد تحاول أبعادها أن تكشف عن أسرار حقبة مهمة من التاريخ السكندرى.

ومن بين المقالات المهمة التى تناولت الإسكندرية كمدينة ما كتبه الأستاذ كلارك المحاضر بقسم التاريخ والآثار والدراسات الكلاسيكية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية عام 1949 بعنوان" الإسكندرية المتاخمة لمصر: استعراض" حيث يذكر مكانة مدينة الإسكندرية بين المدن الأخرى التي أسسها الإسكندر الأكبر، ومن هذا المنطلق ويستعرض مواصفاتها كمدينة هللينستية. وكيف أن عظمة هذه المدينة قد دفعت المؤرخين، لاسيما المؤرخين العرب ، لكي يبدأوا رحلة البحث والتنقيب في هذه المدينة .

ثم يتحدث عن الخريطة التي وضعها محمود الفلكي للإسكندرية في عام 1872 . وينتقل بعد ذلك إلي الحديث عن شوارع المدينة وأسوارها .

وما نود ابرازه هنا أن الأستاذ كلارك أشار إلي أهمية تدارس ما ذكره استرابون عن المدينة وتخطيطها. بالإضافة إلي ذلك نجده يتحدث عن الفخار المكتشف في الإسكندرية ، ثم يعرض الكثير من الملامح السكندرية التي تمثل العصر الهللينستي أعظم تمثيل ، ثم ينتقل إلي الحديث عن الآراء التي عرضها دكتور بوتي وكيف قام السيد / روي بنقد هذه الآراء.

ويتحدث الأستاذ كلارك عن الحفائر التي تمت في الإسكندرية وما أسفرت عنه من اكتشاف العديد من العملات والقطع والشقفات الفخارية ، وكيف أنها ساعدت علي كشف الكثير من أسرار هذه الفترة ، بل وتفسير كثير من الملامح التي ميزت هذا العصر . وفي هذا الإطار يوصي بمواصلة الحفائر ، ويؤكد علي ضرورة أن يعرض المتحف اليوناني الروماني كل ما لديه من لقـــي أثرية بطريقة تظهر التطور

الذي شهده الفن الهللينستي . ويذكر أن برشيا وأدرياني قد وعدا بعمل كتالوج للمنحوتات المكتشفة في مدينة الإسكندرية، بل وعمل كتالوج للمسارج والموزايك الموجود في المتحف . ويذكر أيضاً أن أدرياني قد بدأ بالفعل في عمل كتالوج للنقوش المكتشفة . ثم يقترح في خاتمة المقال دراسة المصادر التي تمثل ما كتبه الأقدمون ، كذلك دراسة الصور المأخوذة من الجو ، ومواصلة العمل في السرابيوم وفي مقبرة الشاطبي . ومن جانبنا نرى أن فكرته التى يذهب فيها إلى دراسة الصور المأخوذة من الجو يمكن تطويرها الآن فى ظل تطور التكنولوجيا المعاصرة واستخدام خصائص الاستشعار عن بعد فى الكشف عن بعض الآثار التى مازالت فى طى الكتمان . وربما وجدنا فى الدراسات والكتابات التى قدمها الدكتور عزت قادوس فى السنوات الأخيرة عن الإسكندرية ، امتدادا لكتابات الأستاذ كلارك .

لقد تواصلت هذه الدراسات عبر الزمن ، فصدرت دراسات تتناول الإسكندرية... المدينة... من حيث التخطيط الذى شهدته . كيف خططت مدينة الإسكندرية القديمة ؟

سؤال مهم أجاب عليه الدكتور محمد عبد الحميد الحناوي في بحث له بعنوان " تخطيط ومواقع الإسكندرية القديمة وتطورها حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي " والذى صدر عام 2000 ، حيث يشير إلي أحياء المدينة وتطورها حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي وأهمها الحي الملكي وحي اليهود والحي الوطني . ثم يتناول أسوار المدينة وأهميتها مبيناً أنه من المرجح أن الأسوار ابتدأ في إقامتها أيام الإسكندر ثم تمت في عهد البطالمة وزاد الرومان في تحصينها. ويصف البحث أبواب المدينة والحصون والقلاع والتي منها قلعة الفنار وحصن المنارة وقلعة الركن وكوم الناضورة وكوم الدكة . ويصف بالإضافة إلي كل هذا الميناء القديم والميناء الجديد . وتأتى هذه الدراسة لتتواصل مع الدراسة التى قدمها الأستاذ كلارك ، لتكشف أهمية البحث العلمى والأثرى فى هذا الجانب وأن المسألة مازالت تستحق المزيد من الدراسة والبحث .

لقد استحوذ الإسكندر على قدر كبير من الدراسات فى هذا الإطار باعتباره المؤسس حيا ، وباعتباره المفقود ميتا . وهو

ما ظهر جليا فى قصة تابوت الإسكندر الذى مازال يشكل لغزاً بالنسبة للباحثين والدارسين حتى يومنا هذا .

وكان الأستاذ آلان ويــس قد أثار بصورة ملحة مسألة الحديث عن "تابوت الإسكندر الأكبر " فى بحث كتبه عام 1948 ، حيث بدأ بالحديث عن العلماء الذين استفاد منهم في كتابة مقالته ويذكر منهم تارن، و سيدني ، وآلان روي. ثم يتحدث عن فتح الإسكندر الأكبر للشرق وكيف أنه خلص مصر من براثن الحكم الفارسي ، لا سيما بعد أن استطاع أن يقضي علي الإمبراطورية الفارسية ذاتها . ويذكر كيف أن المصريين قد استقبلوه استقبال الأبطال المخلصين وأنهم أنزلوه منزلة رفيعة ، لأنه - علي خلاف الفرس - لم يزدري آلهتهم ؛ بل علي عكس الفرس تماما احترم الديانة المصرية بل ونُصب أبناً للإله أمون في معبده بواحة سيوة. ثم يتحدث عن تأسيسه لمدينة الإسكندرية وكيف أنها غدت عاصمة للعالم المتحضر آنذاك . لقد أبدي الإسكندر احترامه أيضاً لفراعنة مصر ومجد منهم علي وجه الخصوص ، الملكة حتشبسوت من الأسرة التاسعة عشر ، وكذلك الفرعون

نكتانبو الثاني آخر فراعين مصر في الأسرة الثلاثين ، والذي لجأ للبلاط المقدوني واحتمي بالملك فيليب المقدوني بعد الغزو الفارسي لمصر. ولعل ذلك كله يبرز من الناحية الأخرى حب المصريين للاسكندر الأكبر ، وتقبلهم له كأحد ملوك مصر الفراعين بوصفه خليفة لفراعين الأسرة الثلاثين، مما يبرز أيضاً رغبته في أن يدفن في مصر بعد وفاته . ولقد عثر علي تابوت في مسجد العطارين يرجح أنه كان للإسكندر الأكبر، ولقد كانت الكتابة المنقوشة علي هذا التابوت مكتوبة باللغة الهيروغليفية ، ولقد نقل الإنجليز هذا التابوت إلي المتحف البريطاني بعد انتهاء حملة نابليون الفاشلة علي مصر .

ولكن الأستاذ آلان ويـــس يرجح أنه لم يكن تابوتاً حقيقياً لجثمان الإسكندر وإنما كان تابوتاً مزيفا ، ومع ذلك فنجده يقرر أن الدراسات الكلاسيكية أكدت أن الإسكندر قد دفن بالإسكندرية ، وأن قبره كان مزاراً طوال العصر البطلمي قبل أن يختفي عن الأنظار.

وقد ترتب على ذلك أن الأستاذ آلان ويـــس استنتج أن تابوت الإسكندر كان في الموقع الذي يقام عليه حالياً مسجد العطارين ، حيث أن هذا المسجد مبني علي أنقاض كنيسة القديس أثانسيوس ، والتي بنيت بدورها علي أنقاض المقبرة التي كانت تضم تابوت نكتانبو الثاني آخر فراعين الأسرة المصرية الثلاثين ، والتي يرجح المؤلف أن تابوت الإسكندر كان موجوداً إلي جوار تابوت نكتانبو الثاني في هذا الموقع إبان العصر البطلمي . ويذكر الأستاذ ويـــس أن بطلميوس الأول بعد أن سرق تابوت الإسكندر وجثمانه أتى به إلي مصر ودفنه أولاً في ممفيس ثم نقله بعد ذلك إلي الإسكندرية، ودفنه إلي جوار نكتانبو الثاني بوصفه خليفة له ، وذلك لكي يكتسب الإسكندر – بعد ذلك – الشرعية في حكم مصر بوصفه خليفة لفراعين الأسرة الثلاثين ، آخر سلالة فرعونية مصرية . ثم يذكر المؤلف أنه يعتقد أن جثمان الإسكندر قد تم تكفينه في أكفان من الذهب ثم وضع في تابوت نكتانبو الثاني المنقوشة كتابته باللغة الهيروغليفية. وينهي المؤلف بحثه برأى مفاده أن مقبرة الإسكندر مع ذلك تظل لغزاً

يستعصي علي الحل ، وأنه يحتاج لمزيد من الدراسات والحفائر والتنقيب في عدة أماكن ذكر منها ، كوم الدكة وأسفل أرضية مسجد النبي دانيال أو بالقرب من مسجد العطارين وإن كان يرجح الأخيرة للأسباب التي ذكرها من قبل . لكن المؤلف لم يطلعنا على مصادر معلوماته بصورة كافية ، ولم يكشف لنا عن حجم الثقة فى المعلومات التى قررها فى بحثه ؛ ومع هذا فقد فتح الباب أمام الباحثين والدارسين فيما بعد لمواصلة الاجتهاد فى هذا الجانب ومحاولة الحصول على الأدلة التى يمكن أن تلقى الضوء على هذا اللغز المحير.

وهذا ما حدث تماما حين وجدنا الدكتور فوزي الفخرانى وهو من علماء الإسكندرية ومن أهم الأثريين المصريين ، يتابع مسألة البحث عن المقبرة بصورة كبيرة في بحث تحليلي دقيق بعنوان "استقصاء الآراء المتعلقة بموقع مقبرة الإسكندر الأكبر" عام 1964. ويذكر فى مطلع بحثه أن موقع مقبرة الإسكندر الأكبر من الناحية التاريخية يشكل معضلةً أثرية لا تضاهيها معضلة أثرية أخرىٰ. وترجع جذور هذه

المشكلة إلى نهاية القرن الرابع الميلادي ، عندما طرح جون كريسوستوم سؤاله حول مكان جثمان الإسكندر الأكبر مما يعنى بوضوح أن قبر الإسكندر لم يكن معروفاً منذ ذلك التاريخ وأن مكانه كان مجهولاً.

عادت هذه القضية للظهور مرة أخرى فى العصور الحديثة مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي ، عندما ذكر مسلمو الإسكندرية للقوات البريطانية أن جنود حملة نابليون الفرنسية قد أخفوا تابوت الإسكندر بعد أن أخذوه من مسجد العطارين فى عام 1801 م ، ومنذ ذلك التاريخ بدأ الأثريون فى البحث والتنقيب عن مقبرة الإسكندر الأكبر.

ثم يطرح الدكتور الفخراني سؤاله حول وجود هذه المقبرة قائلا: " لكن هل مقبرة الإسكندر الأكبر موجودة بالفعل فى الإسكندرية أم فى مكان آخر؟ "

وفى محاولة للإجابة عن هذا السؤال يذكر قصة الصراع الذى دار بين قواد الإسكندر للفوز بالجثمان ، وكيف أن بطلميوس قد سرق الجثمان أثناء الإعداد لجنازة الإسكندر لكي يدفنه بالإسكندرية حتى يكسبها مزيداً من الشرف

والدعاية ، وليدعم مركزه فى العالم الهللينستى الذى كان يعج بالصراع بين خلفاء الإسكندر حول اقتسام إمبراطوريته بعد وفاته .

ويذكر الدكتور الفخرانى أنه كان من الطبيعي أن يدفن الإسكندر فى مسقط رأسه مقدونيا ، لكن بطلميوس لم يكن حريصاً على ذلك .

ويتعرض الدكتور الفخرانى لما ذكره ديودوروس الصقلى فى إمكانية دفن الإسكندر الأكبر فى معبد الإله آمون بواحة سيوة كما ذكر القواد المجتمعون حول جثمانه يوم وفاته. كما أن القائد برديكاس كان يرغب فى دفن الإسكندر إلى جوار أمه أوليمبياس وأخته كليوباترا شقيقة الإسكندر الأكبر .

ومن الثابت من الوثائق أن تابوت الإسكندر قد تم اكتشافه فى عام 1887 فى صيدا بسوريا ، ولكن ذلك لا يعنى بالضرورة أن الجثمان كان بداخله . لقد ذكر استرابون أن مقبرة الإسكندر الأكبر كانت موجودة فى الحي الملكي الذى كان يمتد من رأس لوخياس حتى مقبرة الشاطبى.

ويخلص المؤلف إلى اعتقاده بأن مقبرة الإسكندر قد تكون موجودة فى جبانة اللاتين لوقوعها بالقرب من القصور الملكية البطلمية على رأس لوخياس من ناحية ، ولقربها أيضا من الجبانة اليونانية بالإسكندرية من ناحية أخرى .

وقد كان من الطبيعى أن نتناول مكانة الإسكندرية المالية فى أيام الإسكندر الأكبر، ومدى ما كانت تتمتع به من قدرة مالية آلت إلى بطلميوس سوتر بعد رحيل الإسكندر، فكانت خير عون له فى أعماله ومشروعاته . وهو ما يكشف عنه الدكتور مصطفى العبادى في مقالة له بعنوان "كليومينيس وسياسته المالية في مصر في عهد الإسكندر الأكبر" صدرت عام 1963 حيث يقدم لنا تحليلاً رائعاً للسياسة الاقتصادية التي أرساها الإسكندر الأكبر في مصر حين جاء إليها فاتحاً، وأثر هذا في نهضتها الاقتصادية في أوائل عهد البطالمة .

يبدأ الدكتور العبادى بالإشارة إلي أن عصر الإسكندر يعتبر من أهم فترات التحول والانتقال في التاريخ العام ، ذلك أن عالماً جديداً في سياسته واقتصاده واجتماعه كان علي وشك أن يولد . لهذا كانت دراسة الرجال الذين اعتمد

الإسكندر عليهم والذين شغلوا مناصب أساسية في حكمه بالغة الأهمية لفهم ذلك العصر والتطورات التي حدثت فيما بعد ، ولقد كان كليومينيس أحد أولئك الرجال البارزين ، إذ تركه الإسكندر للإشراف علي مالية مصر ، فأصبح سيد الموقف بها والمتصرف الأول في شئونها طيلة حياة الإسكندر .

يبين لنا الدكتور العبادي منهج وأسلوب كليومينيس، وكيف أن جميع أعماله كانت تهدف إلي غاية واحدة وهي صالح الخزانة العامة للدولة . وهو في ذلك لم يقصر نشاطه علي القيام بأعمال أمين الخزانة ، ولكن دبر أمر خزانة الدولة علي نحو ما يدبر التاجر حسابه الخاص . ولذلك فإن أعمال كليومينيس تعتبر تجربة لها أهميتها بالنسبة لدارسي تاريخ الاقتصاد والمال .

ومما يؤكد هذه الفكرة هو ما ترويه الأخبار أن بطلميوس الأول سوتر الذي تولي حكم مصر بعد وفاة الإسكندر تسلم خزائن الدولة من كليومينيس وبها 8000 تالنتوت ، وهو مبلغ ضخم يثبت أن أرباح كليومينيس كانت تذهب إلي خزانة

الدولة . وعلي ذلك فإن ما قام به كليومينيس يعتبر أكبر خدمة قدمت للبطالمة بالذات ، فبالإضافة إلي خزانة غنية ، أورثهم تجارة خارجية علي أسس منظمة مكنتهم من انتهاج سياسة مماثلة زمن البطالمة الأول حين كانت تجارة القمح الخارجية من أهم عمد سياستهم الاقتصادية.

وكان من الطبيعى أن يتناول أحد البحوث جانبا آخراً مهما من جوانب تأسيبس المدينة وهو الحمامات التى كثر الحديث عنها فى بعض الكتابات العربية المتأخرة خاصة ابن العبرى وابن القفطى. لذا يتناول البحث الذى يقدمه الدكتور الفخرانى والذى صدر فى عام 1962 المسألة المتعلقة بالإسكندرية كمدينة وهى " حمامات الإسكندرية الرومانية" حيث يشير إلى أن حمامات الإسكندرية الرومانية لم تنل أى قدر يذكر من اهتمام الباحثين ، وتكاد تخلو منها الكتب التى تتناول الحديث عن الإسكندرية. ولذا وجدنا الدكتور الفخرانى يبدأ دراستة بالحديث عن الحمامات فى روما ، ويصفها بصورة دقيقة مدعما اياها بالصور .

ويقدم الدكتور الفخرانى نموذجا لحمامات الإسكندرية وهو حمام كوم الدكة الذى يعد أصغر حجما من الحمامات الرومانية وأقل منها زخرفة . ويشير أيضا إلى أن هذا الحمام قد تهدمت أكثر أجزائه ولم يبقى منه إلا القليل . ويشير أيضا إلى بعض الحمامات الأخرى التى وجدت فى الإسكندرية مثل حمامات أبى صير وحمامات أبى قير ، على سبيل المقارنة مع حمام كوم الدكة.

والملاحظ أن مقالة الدكتور الفخرانى ، على الرغم من أنه قد مضى عليها أربعون عاما ، إلا أنها ما تزال تشكل قيمـــة علمية رفيعة المستوى من حيث التحليل والمقارنات الداخلية للحمامات فى الإسكندرية مع الحمامات الرومانية .

الفصل الثالث

رؤوس الإسكندر وملاحظات سكندرية

تواجهنا فى هذا الجانب عدة دراسات مهمة ، انصبت فى معظمها على رؤوس الإسكندر التى وجدت أثناء عمليات الحفائر التى تمت عبر الزمن . ومن أهم الدراسات التى نجدها فى هذا الصدد الدراسة التى قدمها الدكتور أحمد غزال بعنوان "الرؤوس المنحوتة للإسكندر الأكبر" ، حيث يشير للرؤوس المنحوتة للإسكندر الأكبر والمنفذة في الرخام، وكذلك في الحجر الكلسي في العصر البطلمي . ويبين كيف قام النحاتون بتنفيذ هذه المنحوتات تعبيراً عن احترامهم وتقديسهم لشخص الإسكندر الأكبر الفاتح العظيم ، وكانت بعض هذه الرؤوس المنحوتة توضع في مقبرته، والبعض الآخر يزين المنازل لتأكيد الولاء لهذا العاهل الكبير .

ويذكر الدكتور غزال أن العديد من هذه البورتيريهات محفوظ في المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية ، وهي في حاجة إلي الدراسة التي تلقي عليها الضوء بالتحليل والتفسير .

ويحاول الدكتور غزال في هذه المقالة أن يعلق علي هذه الأعمال النحتية ليفرق بين الأسلوب المتبع في تنفيذها،

والأساليب الأخرى التي أتبعت في تنفيذ مثيلاتها خارج الإسكندرية ، سواء من حيث طريقة تصفيف الشعر أو المادة المنفذ فيها العمل ، أو من حيث طريقة نحت تفاصيل الوجه مثل الأنف والشفاه والجبين والعينين والأذنين والرقبة.

ويذكر أن بعض الرؤوس المنحوتة تظهر بجلاء الأسلوب السكندري في طريقة النحت ، والذي يعده المؤلف أسلوباً متطوراً عن الأسلوب الذي كان متبعاً في مدرسة براكيستليس .

ومن الملاحظ هنا تأكيد النحات علي ابراز جمال وجه الإسكندر الأكبر ، فضلاً عن أن الرؤوس المنحوتة للإسكندر الأكبر تتميز بصغر حجمها وهي لمنحوتات المدرسة السكندرية التي لم تشأ أن تنافس النموذج المصري في فن النحت ، والذي يتميز بضخامة حجم المنحوتات . ومن الملاحظ أن صغر حجم المنحوتات كان طابعاً تميزت به الإسكندرية . ويبدو أن هذا الأسلوب قد استمر طيلة العصر البطلمي في مصر .

أما الأستاذ آرثر لين فيذهب في مقالته بعنوان " الحفائر الأثرية في كوم الدكه: تقرير أولي " التى قدمها عام 1949 إلي محاولة تقديم تصنيف مؤقت لما تم اكتشافه في العصور الوسطي من خلال الحفائر التي تمت علي مرحلتين في الأعوام 1947 ، 1948 . لقد كان هدف هذه الحفائر يتمثل في العثور علي بقايا العصر الهللينستي أو الروماني. ومن بين الموجودات التي عثر عليها لمبات زجاجية ناقصة التكوين ، وكميات منَ الأواني الزجاجية ، وبقايا أشياء يستخدمها صانعو الزجاج .

لقد تمت الحفائر بصورة علمية لمعرفة طبقات المواد الموجودة تحت الأرض . وكل مستوي من مستوي الجبل كان يحتوي علي نوع خاص من الفخار . وهذا يعني أن الجبل لم تجري فيه حفائر من القرن الخامس عشر.

إن ما تم اكتشافه في كوم الدكه يلقي الضوء علي الحياة التجارية والثقافية في ذلك الوقت ، كما أنه يقدم معلومات ذات قيمة فيما يتعلق بالعلاقات بين البلدان المختلفة – علي سبيل المثال ، كانت توجد كميات من الفخار البيزنطي ،

وفخار مستورد من المغرب وأسبانيا . ومن ثم فإنه يمكن تصنيف هذه الآثار أو الموجودات وفقا لأصولها، حيث تتضمن الفئة الأولي منها أشياء مستوردة من الشرق الأقصى، بينما الفئة الثانية تمثل أشياء من بلدان شرق البحر المتوسط ، وتمثل الفئة الثالثة الأشياء المستوردة من أسيا ، بينما الفئة الخامسة تمثل أثار غرب البحر المتوسط وأخيراً فئة المنتجات المصرية .

كذلك فإن الأستاذ آلان ويس يهتم فى مقالة له عام 1949 بالحفائر التي أجرتها كلية الآداب فى القطاع الجنوبي الشرقي من منطقة المستشفي الحكومي عامى 1944 ، 1945حيث نجده فى مقالته بعنوان " الحفائر في موقع المستشفي الحكومي بالإسكندرية: تقرير أولي " ، يذكر عن المنطقة الشمالية أنه يوجد جبل يثبت وجود قلاع قديمة في الإسكندرية. وإن الممر الرئيسي في هذا الجبل يبدأ في الجانب الشرقي لشارع شامبليون حتى الغرب . وتوجد ممرات أخرى غير معلوم وجهتها، ولا يعرف تاريخها .

وفي أثناء هذه الحفائر اكتشفت أشياء صغيرة طريفة حيث اكتشفت مواقع الحرب البطلمية واكتشف الفخار الروماني ، وعظام الحيوانات وبقايا زجاج وغيره .

وفى هذا الاطار أيضاً فإن الدكتور عبد العزيز مرزوق يناقش فى مقالة له بعنوان " الأواني الفخارية المصرية المزججة والمكتشفة في حفائر كوم الدكة بالإسكندرية " عام 1959 الأواني الفخارية المزججة والتي عثر عليها أثناء الحفائر التي أجريت في منطقة كوم الدكة بالإسكندرية ، وهي نوع من الأواني التي اصطلح علماء الآثار علي تسميتها السجرافيتو . وهي أوان منفذة في نوع الطين الأحمر المغطي بطبقة سطحية من الزجاج .

ويعترف المؤلف بفضل عالم الآثار آلان ويس الذي بدأ الحفر فى كوم الدكة ، والذي وجه إليه الدعوة لدراسة هذه الأواني الفخارية المزججة . ويذكر المؤلف أن عدداً قليلاً للغاية من الباحثين اهتموا بدراسة مثل هذا النموذج من الأواني الفخارية المطلية بطبقة سطحية من الزجاج . ويذكر ملخصاً لكل ما توصل إليه من سبقوه فى هذا المضمار من

نتائج حتى يبرز فى نهاية المطاف قيمة المكتشفات التي أفرزتها حفائر كوم الدكة بالإسكندرية .

ويشير الدكتور مرزوق فى هذا الصدد إلى فضل الدكتور محمد يوسف بكر ، المحاضر بكلية الهندسة – جامعة الإسكندرية ، حيث احتوى تقريره عن تقنية صناعة الخزف على تحليلات ومعادلات كيميائية ، أفادت المؤلف كثيراً في تفسيره للأسلوب التقني الذي نفذت وفقاً له الأواني الفخارية المزججة المكتشفة في حفائر كوم الدكة .

ويشير المؤلف أيضاً الى مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف الإسلامي بالقاهرة ، وهو مخطوط كتبه ابن الأخوّة القرشي المتوفى فى عام 729 هجريا (1392 م) ، حيث يحتوى هذا المخطوط على معلومات قيمة عن صناعة الفخار فى مصر ، وهو يشير على وجه الخصوص إلى نوع من الأواني الفخارية تسمى الزُبادي ، وهى لا تصُنع إلا من الحصى المطحون وليس من الرمل . والزبدية دائما أبداً تكون معتدلة وكاملة الدهان . كذلك فالزبادي يتم صبغه بالثوبان والمنجنيز ولا يصلح استبدال ذلك بالنيلة أو

الشوكس، ويُراعى ذلك عند الصنع لاكتساب الآنية قدراً من المتانة لأنها تستخدم في حفظ الطعام ويتم رفعها ونقلها من مكان لأخر. ويشترط على الصانع أن يقد على الآنية بقشر الأرز ، وألا يستخدم في ذلك القد أي نوع من المخلفات البشرية أو الأزبال بسبب نجاستها .

ثم يذكر المؤلف فضل هذه الأواني الفخارية المكتشفة فى كوم الدكة بالإسكندرية على غيرها من الأواني المكتشفة خارج الاسكندرية ، حيث ساعدت كثيراً في تأريخ مثيلاتها من الأواني الفخارية المزججة والتي يرجع تاريخها للعصور الوسطى .

ثم يختتم المؤلف مقالته بوصف للقطع المكتشفة ، حيث يقدم وصفاً لإحدى وعشرين آنية فخارية مزججة .

أما الأستاذ آلان ويـس فقد آثر أن يدلي ببعض الملاحظات عن الإسكندرية ، وهذا ما جعله يفرد مقالته "ملاحظات سكندرية" لتشتمل علي ثلاث ملاحظات تتعلق جميعها بطبوغرافية الإسكندرية، مؤكداً أنه عرضها في عام

1944 . ما هي إذن هذه الملاحظات ، وإلي أي حد تكمل لنا معرفتنا بالإسكندرية .

الملاحظة الأولي : تختص بالسرابيوم حيث يسجل المؤلف اعتراضه علي تسمية عمود السواري باسم عمود بومبيوس ويذكر أنها تسمية خاطئة اطلقت إبان الحروب الصليبية حيث كان يعتقد أن رأس بومبيوس مدفونةً في هذا الموقع . كذلك يعترض المؤلف علي تسميتها في العصر الإسلامي باسم عمود السواري لأنها تسمية غامضة وليس لها ما يبررها . ويذكر المؤلف أن العمود قد أقيم في عصر دقلديانوس في نفس الموقع القديم لمعبد السرابيوم الذي كان يضم المكتبة الصغري في الإسكندرية .

أما الملاحظة الثانية : فإنها تتعلق بإشكالية تحديد موقع قبر الإسكندر الأكبر ، وبعد سرد تاريخي لسيرة الإسكندر في مصر . يذكر المؤلف أن الإسكندر كان يرغب في أن يدفن في معبد الإله أمون بواحة سيوة ، لكن بطلميوس الأول قرر دفنه بالإسكندرية ليكسب لعاصمته دعايةً سياسية وقداسةً كان في حاجة إليها لتدعيم ملكه وتدعيم مركز البطالمة في مصر.

ويذكر المؤلف أن العديد من الرحالة الذين زاروا الإسكندرية في العصر البطلمي والروماني قد شاهدوا قبر الإسكندر وكتبوا عنه ، ومنهم استرابون . كذلك فقد زار الإمبراطور أغسطس قبر الإسكندر عند دخول الرومان إلي مصر بعد موقعة اكتيوم البحرية 31 ق. م كذلك فمن الثابت زيارة كليوباترا السابعة لهذا القبر في الإسكندرية. كذلك يذكر المؤرخ اليهودي جوزيفوس أن الإمبراطور كاليجولا قد زار القبر في الإسكندرية وأعجب بأكفانه الذهبية . لقد كانت المقبرة قائمة في عصر الإمبراطور الروماني سبتميوس سيفيروس ، وفي عصر الإمبراطور كاراكلا . وتذكر المصادر أن الإمبراطور قدم عدة تقديمات في قبر الإسكندر منها عباءةً أرجوانية اللون . ثم يتعرض المؤلف لمعضلة مكان قبر الإسكندر ويذكر أنها لا تزال لغزاً يستعصي علي الحل ، ويرجح بعض الأماكن التي يمكن أن يوجد فيها ، ومنها مسجد النبي دانيال ومسجد العطارين وكوم الدكة .

أما الملاحظة الثالثة والأخيرة : فهي عن مكتبة الإسكندرية القديمة حيث يسرد المؤلف وصفاً للكتب ونوعيتها وعددها

والذين تولوا أمانة المكتبة ، ثم يتحدث عن موقع المكتبة في الحي الملكي ، ويختم مقالته بجملة مقتضبة عن تدمير المكتبة يذكر فيها أن الكتب قد تم تدميرها مع تدمير مبني المكتبة دون أن يشير لكيفية هذا التدمير ، ولا للعصر الذي تم تدمير المكتبة فيه . وهذا الرأي في تقديرنا لا يكشف أبعاداً جديدة عن معضلة اختفاء مكتبة الإسكندرية. ولكن ياترى هل تحرج آلان ويس من أن يكشف لنا الحقيقة ؟ أم أنه لم يكن لديه ما يفسر لنا به معضلة الاختفاء ؟

لكن الأستاذ آلان ويس يقدم لنا في مقالين بعد ذلك جملة من الملاحظات أو الآراء عن النقوش التي عثرنا عليها وجاءت من العصر البطلمي .

أما المقالة الأولي 1946 وهي بعنوان " نقش بطلمي من مدينة هيرموبوليس ماجنا " فيشير فيها إلي أنه تم اكتشاف هذا النقش فى شهر مارس من العام 1945 ، أثناء الحفائر التى تمت فى مدينة هيرموبوليس ماجنا . والنقش يرجع للعصر البطلمى، وهو عبارة عن إهداء منقوش على تمثال مقدم من سلاح الفرسان وهم من المحاربين المقدونيين

المقيميين فى هيرموبوليس والمنتظمين تحت قيادة هيبارخوس. ولقد كانت مثل هذه المستوطنات العسكرية منتشرة فى جميع أنحاء مصر إبان العصر البطلمى ، ولا سيما فى الفيوم على وجه الخصوص .

أما النقش فهو مـــــكتوب بـــــلغة يونانية سكندرية وهو إهداء الى الملك بطلميوس الثالث يوارجتيس ولزوجته الملكة برنيقة، وإلى والديهما ؛ الملك بطلميوس الثانى فيلادلفوس وزوجته الملكة أرسنوى . وهو منقوش على أحد التماثيل الموجودة داخل معبد منفذ على الطراز الدورى بالمدينة المذكورة . وبين حطام البقايا الأثرية لهذا المعبد ، وجدت عدة أجزاء تمثل أطلال مبنى مصنوع من الطين ، يبدو أنه يرجع لفترة تسبق العصر البطلمى ، وبجوار المعبد البطلمى المذكور وجدت عدة أجزاء تمثل بقايا مبنى كورنثى الطراز كما هو واضح من بقايا أعمدته وتيجانه . وهكذا يصبح لدينا – ولأول مرة فى مصر – بقايا أثرية من العصر البطلمى العصر الهللينستى ، تمثل طرازاً معمارياً يونانياً خالصاً ،

وهو ما لم نجده على مدار العصر البطلمى فى بقية المدن المصرية الأخرى مثل الإسكندرية والفيوم وغيرهما .

ولحسن الحظ ، فلقد حفظت لنا التربة طبقة البازيليكا اليونانية – الرومانية فى حالة جيدة . ويعتبر هذا الكشف على جانب كبير من الأهمية ، ليس بالنسبة للتاريخ الثقافي لمصر البطلمية فحسب ، بل – وهذا هو الأهم – بالنسبة لتطور العمارة الهللينستية برمتها، سواء فى بلاد اليونان أو داخل حدود إمبراطورية الإسكندر نفسها .

أما المقال الثاني 1944 فيتحدث فيه الأستاذ آلان ويس عن "نقوش يونانية من السرابيوم" إن هذه النقوش التى يتحدث عنها فى هذه المقالة إنما هي أحد مكتشفات الحفائر التى قام بها السيد آلان روي مدير المتحف اليوناني الرومانى في السرابيوم خلال شتاء عام 1943ـ1944م . ويقول كاتب المقال أن السيد آلان روي قد منحه حق نشرها وسهل له كل ما يستلزم من أمور فى سبيل تحقيق هذه الغاية.

ويذكر آلان ويس أن هذه النقوش وجدت بين الحطام المتناثر حول عمود دقلديانوس المعروف باسم عمود بومبيوس وهى منقوشة على أحجار تم قطعها من القسم الجنوبى الشرقى من الحائط الخارجى للسور البطلمي . وهذه النقوش تؤرخ لاختيار موقع السرابيوم إبان حكم بطلميوس الثالث. وهذه النقوش عبارة عن خمس قطع ، تذكر جميعها الإله سرابيس والربة إيزيس وبقية الآلهة الذين كانوا يعبدون فى هذه المنطقة، أحد هؤلاء الآله هو الإله حربوكراتيس (حورس عند المصريين).

ولعل ما جاء ذكره فى هذه النقوش يؤكد بصورة لا تدع مجالاً للشك أن تلك المنطقة التى تحيط بمنطقة عمود بومبيوس ،عمود السوارى عند المسلمين، هى المنطقة التى كان مقاماً عليها معبد السرابيوم الكبير فى العصر البطلمي.

والنقش الأول من هذه النقوش أمكن تأريخه بالنصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد إبان العصر البطلمى ، أى إبان عصر الملك بطلميوس الثالث المعاصر لبناء معبد

السرابيوم الكبير ، وهو مايتفق وماجاء فى كتابات المؤرخ الرومانى تاكيتوس.

ثم يقدم المؤلف نماذج مصورة للنقوش التي عثر عليها فى هذه المنطقة ، وكان بعضها فى حالة جيدة ، والبعض الآخر مهشماً مما استتبع ضرورة ترميمه وتكملته.

بالإضافة إلى ذلك فهناك بعض الشققات الصغيرة التى يؤرخ بعضها بعصر الإمبراطور هادريان . وهى عبارة عن تقدمة مهداة للإله "سرابيس" وللآلهة المعبودة فى معبد السرابيوم.

ويتضح من استكمال النقوش ، الدقة الشديدة التى التزمها آلان ويــس بضم الأسطر وتحديد مقاييسها بالسنتمترات كما جاء فى توصيات مؤتمر ليدن الخاصة باستكمال النقوش المهشمة والمطموسة، فضلاً عن قراءتها بطريقة صحيحة أسهمت فى إلقاء الضوء على تحديد موقع السرابيوم الكبير فى الإسكندرية.

الفصل الرابع

الإسكندرية الإسلامية

هناك مجموعة من الدراسات تتناول موضوعاً محـدداً هو الإسكندرية بدءاً من العصر الإسلامي ، وهو موضـوع جدير بإلقاء مزيد من الأضواء عليه ، فقد انتقل مركز الثقـل الحضاري في ذلك الوقت إلي مدن أخرى ؛ قديمة مثل دمشق في أثناء حكم الأمويين أو جديدة أنشأها المسلمون مثل بغـداد في العراق ، أو القاهرة في مصر ، وأصـبح جـل اهتمـام المؤرخين والكتاب هو ما يدور في هذه المدن ، وما يخـرج عنها من أفكار فلسفية وتيارات أدبية ومذاهب دينية ، وتقلص الاهتمام بالإسكندرية في ذلك الوقت ، التـي أصـبح أكثـر الحديث حولها يدور حول تاريخها القديم المجيد أو أنها إحدى الثغور الإسلامية المهمة في مواجهة البيـزنطيين . أصـبح واجباً التنقيب في المصادر القديمة للبحث عن صورة الحيـاة في الإسكندرية في جوانبها المختلفة الفكريـة والاجتماعيـة والسياسية، وهذا ما فعله بعض علماء جامعة الإسـكندرية ، وهنا نشير إلى دراستين مهمتين هما دراسة الدكتور أبو العلا عفيفى والدكتور محمد على أبوريان .

يشير الدكتور أبو العـــلا عفيفـــي إلـــى الأثـــر الفلســـفي الإسكندري في قصة حي بن يقظان ، والدراسة تعد نموذجاً رفيع المستوي في البحث الأكاديمي سواء في لغتها العلميـــة الدقيقة التي تستخدم الجملة بـــدلالتها المضـــبوطة تمامـــاً ، وتحترز من إطلاق الحكم في أي قضية إلا إذا سانده حشـــد كبير من الأدلة أو في منهجيتها ، وتسلسل الفكرة فيها ، وهو يتحدث فيها عن مجموعة الكتابات الهرمسية التي كان لهـــا أثر بالغ في تشكيل الحياة الروحية المسيحية ، وتشكيل العقلية الإسلامية الفلسفية والصوفية ، وهو يري أن هذه الكتابـــات هي الحلقة المفقودة في تاريخ الصلة بين التـــراث اليونـــاني والفلسفة الإسلامية .

يتحدث الدكتور أبو العلا عفيفى في البداية عن قسمي هذه المقالات التي تجمع في قســـمها الأول الكتابـــات الفلســـفية الحديثة الصوفية التي تمزج الفلسفة الأفلاطونيـــة والفلســـفة الرواقية واليهودية والمسيحية والأفلاطونية الحديثة . وفـــي قسمها الثاني تجمع كتابات تتعلق بالفلك والسحر والكيميـــاء

ونحوها، بعد ذلك يتحدث عن نسبته هذه الكتابات وجمعها بين ميتافيزيقيا اليونان وروحانية الشرق وتصوفه .

ثم يعرج إلي مدي تأثر ابن سينا بهذه الكتابات في رسالته حي بن يقظان التي يتحدث عنها في البداية ويحاول أن يلخصها في لغة عادية بعيدة عن رمزيتها ، وشرح ابن سينا في رسالته لنظريته الصوفية ، وهو يخلص من تلخيصها إلي أن الفكرة الأساسية فيها هي الفكرة نفسها التي تتمركز حولها أحاديث الكتابات الهرمسية . وأن حي بن يقظان ليس إلا صورة إسلامية من صور هرميس الإله المصري اليوناني . كما يتحدث عن تسرب الثقافة الهرمسية إلي المسلمين ، وبخاصة في الأوساط الصوفية عن طريق الرهبان المسيحيين في مصر في الإسكندرية موطن الكتابات الهرمسية الأصلي وعن طريق الطرق التي ورثت ثقافة الإسكندرية .

وقد اشتهر اسم هرميس في الأوساط الإسلامية وكثر الحديث عنه وعن عجائبه حتى رفعه المسلمون إلي مصاف الأنبياء .

في نهاية الدراسة يبين الدكتور أبو العلا عفيفي مدي تأثير الفلسفة الهرميسية في المسلمين في هرميس عندهم قد أصبح ثلاثة هرميس الهرامسة التي قبـل أزمـة النبـي إدريـس، وهرميس البابلي وهرميس المثلث الحكمة .

ومن هذا المنطلق تعتبر دراسة الدكتور أبو العلا عفيفـى فاتحة عهد جديد فى دراسة تأثير الفلسفات السكندرية القديمة فى الدراسات الإسلامية والصوفية عند فريق من الفلاسفة فى المشرق العربى ، وهى مسألة لم تكن مطروحة قبل الدكتور عفيفى .

وأما الدكتور محمد علي أبـو ريـان فيعـرض لثقافـة الإسكندرية القديمة وأثرها في حضارات العصر القديم وفي الفكر الفلسفي الإسلامي خاصة . ويبدأها بمدخل عام يتحدث فيه عن التيارات الفلسفية في العصر الهللينستي التي يحددها في ثلاث مراحل هى : مرحلة النشأة مـن طـاليس حتـى سقراط، ومرحلة كبار السـقراطيين : أفلاطـون وأرسـطو ومرحلة الذبول التي نشأت فيها مدارس صغار السـقراطيين والأبيقورية والرواقية والفيثاغورية الجديدة ، وهي المدارس

التي تركز جزء منها في الإسكندرية وفرعيها في أثينا وبيروت وامتد تأثيرها علي امتداد الساحل الإفريقي الشمالي.

يناقش الدكتور أبو ريان مدي تأثير هذه المدرسة وامتدادها إلي أماكن كثيرة في العالم القديم ، ثم يتحدث بعد ذلك عن تطور العلم والفلسفة في المرحلة الهللينستية ويقسمها أيضا إلي ثلاث فترات : الفترة الأولي منذ إنشاء مدينة الإسكندرية علي يد الإسكندر إلي سقوط الحكم البطلمي وانتهاء حكم كليوباترا لمصر ، وخضوع البلاد لروما وهي فترة ازدهار العلوم وتقدمها ، رغم تعدد التيارات الفلسفية وضحالة الفكر وغياب الجدة والإبداع وسيادة النزعات الصوفية والسحرية. والفترة الثانية تمتد من انتهاء حكم البطالمة إلي نهاية السيطرة الرومانية علي الإسكندرية وبداية خضوعها لحكم الدولة البيزنطية ، ويلاحظ علي هذه الفترة أنها كانت استمراراً لازدهار الحركة العلمية في الإسكندرية وتقدم علوم الفلك والرياضيات والطب . والفترة الثالثة وتبدأ من تاريخ انقسام الدولة الرومانية إلي شرقية وغربية إلي فترة خضوع المدينة للحكم البيزنطي ، وتعد هذه الفترة من

أكثر الفترات تأثراً واضطراباً في تاريخ المدينة وبداية التحول التدريجي إلي المسيحية وحرق مكتبة الإسكندرية وقتل عدد كبير من المفكرين والعلماء . ثم دخول السريان الذين نقلوا العلوم اليونانية إلي اللغة العربية عن طريق حركة الترجمة، وبداية تأثير الفلسفة اليونانية علي الفكر الإسلامي الذي بدأ أول الأمر من خلال بعض النظريات ثم استقرار الأمر بعد ذلك.

يتحدث الدكتور أبو ريان بعد ذلك عن الأفلاطونية المحدثة وتطورها من خلالها ممثلها الأكبر أفلوطين الذي يناقش أفكاره ونزعاته الصوفية وقوله بالأقانيم الثلاثة الواحد والعقل والنفس في مقام الأب والابن والروح القدس ، ثم التاسوعات التي يفصل أجزاء كثيرة فيها من الجدل الصاعد والجدل النازل ، ونظرية الصعود التى ردها إلى أصلها الأفلاطوني الرياضي ، ثم يتحدث عن هذه المدرسة في عهدها الأخير ، وعن فروعها التي انتشرت في سوريا وفي أثينا.

لننظر إذن كيف صور لنا الدكتور أبوريان فلسفة الإسكندرية، إذ أن مقالته هى المقالة الوحيدة التى صورت لنا حال وتأثير فلسفة الإسكندرية فى مجلة كلية الآداب في جامعة الإسكندرية .

يذكر الدكتور أبوريان أن المسار التاريخي للفكر قد تحدد في ثلاثة أدوار أو مراحل:

المرحلة الأولي: وهي تتمثل في دور النشأة وتمتد من طاليس إلي سقراط. **المرحلة الثانية:** وهي مرحلة كبار السقراطيين: أفلاطون وأرسطو.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الذبول وفيها تظهر مدارس صغار السقراطيين والأبيقورية والرواقية والفيثاغورية الجديدة، والصورة الأخيرة التى أنتهي إليها مذهب أفلاطون في المثل ، بالإضافة الي تيار الفكر اليهودي المتأثر بالأفلاطونية عند السكندريين، ثم حركة المدافعين عن المسيحية ، ثم تيار الفلسفة الأفلاطونية المحدثة الذي ظل يحدث أثرا كبيرا في الحياة العقلية والدينية في منطقة الشرق الأوسط ، وقد تركز في الإسكندرية القديمة وفرعيها في أثينا

وبيروت ، وامتد تأثيرة علي امتداد الساحل الإفريقي الشمالي ولاسيما في المدن الخمس اليونانية في ليبيا ، والتي كان اليونان قد بدأوا في إنشائها قبل ظهور الإسكندرية .

ويبدو أن من أسباب تأسيس الإسكندرية في النصف الثالث من القرن الرابع ق.م. هو أن تكون نقطة إنطلاق إلي هذه المدن الخمس المشار إليها حيث أن العلماء والفلاسفة كانوا يبدأون الرحلة في مصر متجهين إلي هذه المدن علي الساحل الإفريقي ، وهكذا فعل أفلاطون قبل إنشاء الإسكندرية هذا من ناحية. ومن ناحية أخري فإن الإسكندرية القديمة أصبحت منذ نشأتها مركزا لعبادة آلهة اليونان في مواجهة المد الديني لمصر الفرعونية، والمتمثل في عبادة الإله آمون ... وربما كان ظهور الإسكندرية بمثابة عملية حفظ للتوازن بين دين مصر ممثلا في عبادة آمون ودين إله اليونان في الإسكندرية.

علي أننا نلاحظ أن آثار هذه المدرسة الفلسفية والعلمية الكبرى قد تخطى الساحل الإفريقي بعد إهتمام البطالمة بالعلم وإنشائهم للمتحف وللمكتبة الضخمة التى توافد عليها العلماء

من سائر أنحاء العالم القديم ، وظهر أثره في صقلية حيث أكتشف الرقائق الذهبية للفيثاغورية الجديدة وفي جنوبي إيطاليا التي سميت بالمستعمرات اليونانية ، حيث كان للفيثاغوريين دورهم الكبير في عمليات التآمر علي الإمبراطورية الرومانية. هذا بالإضافة إلي التأثير المباشر للرواقية في روما على يد " أبكتيتوس " " وسنيكا "و"مرقص أوريليوس "، ولم تلبث هذه التيارات الفلسفية أن انحصرت عن روما بعد انقسام الدولة الرومانية إلي غربية وشرقية "بيزنطية" ، ووقعت الإسكندرية تحت دائرة نفوذ الدولة الرومانية الشرقية. ولم يكن حظ الإسكندرية في ظل هذه التبعية يدعو إلي التفاؤل؛ بل كانت هذه المرحلة الأخيرة في حياة المدينة ممثلة لعصر الأفول للفكر الفلسفي، واضمحلال الجامعة ، لاسيما بعد انتشار المسيحية وما صاحبها من حركات الاضطهاد الديني وشيوع موجة من التعصب والجهل في مواجهة العلم والفلسفة ، بعد أن كان العلماء والفلاسفة يلقون كل حفاوة وتكريم في أحضان روما حيث

استقبل أفلاطون على محفة ذهبية خارج روما وكان علـــي رأس المستقبلين الإمبراطورة " سالونين" .

وعلى أية حال فإن العصر كله بشقيه البطلمي والروماني المتمثل في سيادة روما أو بيزنطية لم يكن عصر خلـــق أو إبداع فلسفي، إذ كان يمثل مرحلة الذبول والتلفيق في الفكر اليوناني الذى يعرف بمرحلة الثقافة الهللينستية ، حيث تداخلت فيها تيارات شرقية دينية وسحرية مع تيارات الفلسفة اليونانية التي شقت طريقها إلي الإسكندرية . وتمتـــد هـــذه المرحلة الأخيرة " الهللينستية " من أوائل القرن الرابع قبـــل الميلاد إلي أواخر القرن الخامس الميلادي.

2-تطور الفلسفة والعلم في المرحلة الهللينستية:

لقد أتضح كيف أن الحركة الفلسفية في الإسكندرية القديمة قد صاحبت قيام المدينة منذ نشأتها إلي إغلاق مدارسها طوال المرحلة الهللينستية ، التى لم تكن مرحلة إبـــداع فكـــري أو فلسفة يونانية خالصة . وقد ســـبق الإشـــارة إلـــي أن حـــظ الإسكندرية من النمو والإزدهار أو الركود فيما بعـــد كـــان مرتبطا بوضعها السياسي أولاً ثم بانتشار المســـيحية ثانيـــاً

وبهذا يمكن تقسيم المرحلة الهللينستية إلي ثلاث فترات من الناحية السياسية .

1- الفترة الأولي:

وهى تبدأ من إنشاء المدينة علي يد الإسكندر إلي سقوط الحكم البطلمي وإنتهاء حكم كليوباترا لمصر وخضوع البلاد لروما. وهذه فترة ازدهار العلوم وتقدمها في المدينة رغم تعدد التيارات الفلسفية وضحالة الفكر وغيبة الجدة والإبداع وسيادة النزعات الصوفية والسحرية وطغيانها على دور العقل وسيطرتها علي الحركة الثقافية في المدينة . ومن الناحية العلمية نجد في هذه الفترة شخصيات عدة من أمثال إقليدس عام 275 ق.م " وايراتوستين" 275- 184 ق.م أمين مكتبة الإسكندرية في العصر البطلمي ، المؤرخ الجغرافي المشهور الذى قاس محيط الأرض وكانت تعاليمه أن الأرض كروية ، وأن لها قطبين ومحور وخط إستواء ودائرتين قطبيتين . وأن هذا يشير إلى تمايز مناخ الأقاليم على سطح الأرض ، ثم معرفة أوجه القمر ومنازله . وقد ظهر إلي جوار هؤلاء " أبولونيوس " و " نيموكارس " وجالينوس" فى

الطب و " هيرون " في الميكانيكا العلمية . وكانت هذه الفنون العملية تدرس مرتبطة بالفلسفة ، ولاسيما الطب . ولم تظــر دراسة الطب التجريبي إلا عند العلماء من أمثال سكســتوس أمبريكوس الذين التزموا بضرورة قيام الطب علــي مــنهج الملاحظة . أما الرياضة والموسيقي والفلك فإنها لــم تكــن ترتبط بالفلسفة الا بقدر نفعها في مجال العمل ، ولكن أحــد الأفلاطونيين وهو ثيون السيرني أشار في كتاب له عام 125 م إلي أن المعرفة الرياضية ضرورية لدارسي الفلسفة لإجادة أفلاطون . ويبدو أنه كان علي علم بما أنتهت إليــه فلســفة أفلاطون من أستخدام الرياضة للتعبير عن المنهج في جملته. وكذلك أشار هذا المؤلف إلى أن فيلون السكندري اســتخدام الحساب لكي يمهد للرمزية العددية في تأويلاته المشهورة.

2- الفترة الثانية:

وهى تمتد من انتهاء حكم البطالمة الى نهاية السيطرة الرومانية على الإسكندرية وبداية خضوعها لحكــم الدولــة البيزنطية ، أى الدولة الرومانية . ويلاحظ على هذه الفتــرة أنها كانت استمرارا لازدهار الحركة العلمية في الإسكندرية

وتقديم علوم الفلك والرياضيات والطب وعلوم الأحياء. وقــد ظهر في هذه الفترة نخبة من العلماء فى مدينة الإســكندرية كان لهم الأثر الكبير في تقدم العلوم وانتشارها فــي منطقــة العالم القديم حتى بعد القرن السادس الميلادي . أما التيارات الفلسفية فقد استمرت في الحقبة الأولي من هذه الفترة الثانية بالصورة التي كانت عليها من قبل، كظلال عليها باهتة لآراء المدراس القديمة عند اليونان، والتي انتهت إلــي تعــارض وتباعد، وانحدرت إلي نوع من الخطابة والبيان كان يحــذر منه الفيلسوف الرواقي ابيكتيتوس، بينما كان سينكا يجيد هذا الأسلوب ويدعو طلبته إلي استخدام الأسلوب الأدبــي فــي الفلسفة، وتداخلت الممارسات الدينية الشرقية، وكذلك الــدين اليوناني القديم ودين الإلة ميسرا، والدين اليهــودي وتعــاليم الغنوصية والهرمسية وما تسلل إلي الوسط الثقافي من تعاليم المسيحية خلال القرنين الأول والثاني والثالث بعد المــيلاد. فتداخلت هذه العناصر كلها مع الفلسفة التــي كانــت تتســم بالنزعة التلفيقية كما كان حالها في الفتــرة الأولــي فيجمــع الفلاسفة أقوال أرسطو إلي أفلاطون ويعلقون عليها، وكــان

الهدف كما ذكرناه هو الوصول بالنفس إلي مرتبة التطهير والخلاص الديني والأخلاقي، لتحقيق الطمأنينة والسكينة وسلام النفس بحيث أصبح الفيلسوف مرشداً روحياً بعيداً عن أسلوب العقل و المنطق . وحتى إذا عن لأحدهم مثل أليينوس الأفلاطوني أن يعتبر الفلسفة هي الميل إلى التأمل والرغبة في الحكمة؛ إلا أنه لا يكتفي بهذا التعريف للفلسفة، بل أنه يقول إنها فى نفس الوقت تحقق خلاص النفس وخروجها من الجسد، واتجاهها إلي المعقولات والموجودات الحقه، فليس المهم هو الحصول علي معرفة خالصة، ولكن المهم هو ما تحدثه هذه المعرفة من أثر في النفس وتطهرها وخلاصها .

هذا هو نسق الفلسفة والدين الذي كان سائداً في القرنين الأول والثاني للميلاد، وقد ظل الوضع علي هذا النحو إلي أن قام أفلوطين تلميذ أمونيوس ساكاس لكى يعلن لخاصة المثقفين مذهبه الجديد وهو " الأفلاطونية المحدثة"، لكى يعارض النسق المسيحي، أو لكى يقدم دليلا للاتجاهات الدينية التى تحكم سطوتها على الثقافة والفكر والممارسات الروحية في الإسكندرية وفي المنطقة كلها، فمن ناحية

تصدت الأفلاطونية المحدثة للدين الجديد، وقدمت للمــؤمنين صورة فلسفية للأقانيم الثلاثة المسيحية . ومن ناحية أخــري أراد أفلاطين إشباع حاجة العصر إلي نسق روحي يحقق لهم السعادة ، عن طريق الوصول إلي السكينة، كما ذكرنا، وهذا هو أسلوب النزعات الغنوصية والهرمسية، وكذلك الأورفية القديمة التى أنتشرت في مدن البحــر الأبــيض المتوســط وصاحبها التيار الفيثاغوري الجديد.

وقد كان حكــام رومــا يبحثــون عــن ديــن عــالمى للإمبراطورية، يكون بمثابة الدين ألواحد لجميــع الشــعوب والأجناس، وجاء أفلوطين كما أشرنا لكي يقدم هــذا النســق للخاصة بعد أن أستشرى خطر انتشار المسيحية بين العامــة والأرقاء في الدولة الرومانية، وترفعــت الطبقــة الحاكمــة والمثقفون والأغنياء عن مجاراة عامة الشــعوب، وأعتنــاق المسيحية مثلهم، وكانت الأفلاطونية المحدثة هي البديل الذى يقدم لهم بديلاً عن المسيحية دين التطهر والخلاص الجديد.

وهكذا نرى أنه بعد ظهور الفلسفة الأفلاطونية المحدثــة كيف تصب سائر التيارات الفلسفية المعارضة، وتنصهر فى

فلسفة أفلوطين التى تحمل طابع العصر كلـــه، أى الطـــابع الهللينستينى، سواء فى الإسكندرية أو فى فرعيها فى آثينا أو فى بيروت إلى نهاية العلم والفلســفة فـــى خـــلال العصـــر البيزنطى.

3- أما الفترة الثالثة:

وهى تبدأ من تاريخ إنقسام الدولة الرومانية إلى شـــرقية وغربية، أى فترة خضوع المدينة للحكم البيزنطى، وتعد هذه الفترة من أكثر الفترات تأثراً وإضطراباً فى تاريخ المدينـــة، وكذلك فى منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة، وإزدياد التيار المسيحى ومحاولات المسيحين نشر دعـــوتهم فـــى المدينـــة ومهاجمة الطقوس الوثنية، وتكوين رأى عام مســـيحى فـــى مصر التى انحاز معظم أهلها إلى المسيحية، قبـــل أن تعلـــن الدولة البيزنطية أن المسيحية هى دينها الرسمى. ومما يـــدل على ظهور التأثير المسيحى فى مدرسة الإسكندرية المتأخرة هو ظهور حركات التوفيق بين الدين والفلسفة عنـــد أمثـــال يوحنا الفليبونى المعروف عند العرب بإسم يوحنا النحـــوى، وقد ألف هو ومعاصره من أمثال: دمســـيكوس، اســـيقليوس

واسطفن السكندرى، وهم يشكلون جملة المحبين للعمل المسيحى بعد أن تنصروا فى النصف الأول من القرن السادس الميلادى، وقد عمل هؤلاء على تحويل مسار الأفلاطونية إلى وجهة مسيحية.

على أن بداية التحول التدريجى إلى المسيحية كان قد تم قبل نهاية العام 529م عندما أعلن جستنيان إغلاق مدارس الفلسفة الوثنية فى الإسكندرية وروافدها العلمية الأخرى. وقد بدأت الدعوة المعلنة إلى المسيحية تأخذ طريقها إلى جموع الشعب عندما رسم البطريك "تيوفيلوس" أسقفاً مسيحياً للأسكندرية فى منتصف القرن الرابع الميلادى. وهكذا بدأ إنهيار صرح الثقافة منذ ذلك العهد فعمتها موجة من الإضطربات، وسفك دماء الفلاسفة والعلماء وسحلهم فى الشوارع مثل ما حدث لعالمة الرياضة "هيباثيا"، وأمر تيوفيلوس بتدمير وإحراق كل مؤسسات الدين والفكر الوثنى. ويذكر أوروسيوس بأنه لم يعد للمكتبة – ويقصد بها مكتبة السيرابيوم الصغرى– وجود عام 416م أى قبل فتح العرب لمصر بقرنين، ومن ثم فقد برئت ساحة العرب من قضية

إحراقهم للمكتبة على يد عمرو بن العاص عند فتحهم لمصر.
وقد فند بطلر فى كتابه فتح مصر هذه الدعوى ورد على من أذاعوها من المستشرقين، أو من الكتاب الإسلاميين الذين ينقلون عن الترجمات المسيحية بدون تمحيص.

على أننا يجب أن نميز بين المكتبة الكبرى والمكتبة الصغرى: (مكتبة السرابيوم) ويبدو أن الأولى أحرقت على يد قيصر فى معركة أكتيوم البحرية عام 48 ق.م. ويذكر "بلوتارك" وفلوطرخس أن أنطونيوس أهدى كليوبترا مائتى ألف مجلد من مكتبة برجام السورية التى كانت تمثل الفرع الشرقى لمدينة الإسكندرية.

ويبدو أن مصير المرصد والمتحف ومنشآت الجامعة القديمة كلها قد لقيت نفس المصير إبان الاضطرابات المسيحية التى استمرت زهاء قرنين ، أى منذ منتصف القرن الثانى الميلادى إلى إغلاق المدرسة نهائيا ، وقد نجم عن هذه الأحداث المدمرة أن اتجه كبار الأطباء والفلاسفة والعلماء إلى شمال العراق فى حركة فرار تاريخية كبرى إلى شمال العراق للاستظلال بحماية كسرى، ولينقلوا إلى الفرس ثقافة

اليونـــان القديمـــة ، بعـــد أن لفظتهـــا الدولـــة البيزنطيـــة المسيحية،العدو اللدود لدولة الأكاسرة ، ولكن هولاء العلماء لم يكن لهم أى أثر فى الحياة الثقافية لفارس القديمة. وقد دلل المستشرق بول كراوس على عدم صحة الدعوى التى أثارها البعض من أن منطق أرسطو قد نقل إلـــى الفارســـية قبـــل الإسلام.

وقد كان من الممكن أن تحـــدث حضـــارة الإســـكندرية وثقافتها أثرها فى مصر كلها، ولكن الحقيقة أن المدينة ظلت معزولة بأسوارها وأبوابها الضخمة مادياً ومعنوياً عن سائر ربوع مصر، بل إن الداخل إليها من المصريين للإقامة كان عليه أن يستبدل بإسمه المصرى إسماً يونانيـــاً كمـــا فعـــل أفلوطين.

على أن العلماء الفارين من الإسكندرية إلى شمال العراق القديم لم يستقر بهم المقام فى هـــذه البقعـــة حـــول مدينـــة جنديسابور الفارسية حينذاك، بل دفعت بهم الأحـــداث إلـــى غربى هذه المنطقة ولاسيما بعد الفتح الإسلامى وإنتهت بهم المسيرة العملية إلى بغداد، يقول الفـــارابى، " إن المدرســـة

العلمية والفلسفية تكونت فيما بعد فـــى أنطاكيـــة". ويـــؤرخ المسعودى لتاريخ هذه الحركة ذاكراً أن العلماء انتقلوا إلـــى حران فى عهد المتوكل العباسى، وقد تنصر هؤلاء جميعـــاً فيما بعد، وقبل ظهور الإسلام، بعد إلتحامهم بطائفة السريان المسيحية التى كانت تسكن هذه المنطقة حيث ظهرت فيهـــا مدرسة الرها ونصيبين من أتباع النساطرة، وكان من بيـــنهم جورجيوس العرب وطيمانوس الجـــاثليق. ويبـــدو أن آراء السريان المسيحية كان لها تأثيرها على العلمـــاء والفلاســـفة والأطباء المهاجرين من الإسكندرية فى منطقة إيطاليا ومـــا حولها، وقد انصب هذا التأثير فى عملية النقل من اليونانيـــة إلى السريانية، أو إلى اللغة العربية فى العالم الإسلامى فيما بعد، وكان يغلب على مدارس النقلة صناعة الطب والمنطق، وسمى القائمون عليها بإسم رؤساء المدارس، وإنتقلت هـــذه إلى بغداد فى نهاية القرن الثالث الهجرى (التاسع المـــيلادى) حيث انتقل أربعة من الفلاسفة النصارى من حران إلى بغداد فى خلافة المتوكل العباسى. وفى نهاية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) أنشأت دار الحكمة فى بغداد وعرف مـــن

أساتذتها الأسقف السرياني إسرائيل قويرى، ويوحنا بن جيلان، ويحيى المروزى وابن كرنيب، وأبو بشر متى بن يونان ومن بعده الفارابى.

وقد عكف السريان على نقل كتب الصنعة أولاً، ثم كتب الطب لرغبة الخلفاء العباسيين فى عصر الدولة العباسية الأولى. وكان النقل يتم من اليونانية إلى السريانية ثم من السريانية إلى العربية، أو من اليونانية إلى العربية مباشرة. وقد نقلت كتب المنطق قبل كتب الفلسفة، وفى عصر المأمون تم نقل الكتب الفلسفية حسب طلبه بعد حلم رأى فيه أرسطو كان يذكر الإسلاميين.

ويلاحظ من ناحية أخرى أن هذه الترجمات التى نقلت إلى الإسلاميين قد وصلت إليهم بعد أن كانوا قد بلغوا درجة الرقى والدراية العقلية، تمثلت فيما وضعوه من قواعد وأحكام قياسية فى حكم أصول الفكرة.

ولما كانت الترجمات اليونانية قد جاءت ملفقة تحمل طابع التحيز الهللينستى، بالإضافة إلى ما إنطوت عليه من أخطاء تاريخية ومذهبية نمت فى عهد النحويين، وفى كتابات

بلوتارك وديوجين اللائرسى بصفة خاصة، فقد عــانى مــن تناقضاتها المفكرون الإسلاميون، ولم يسع أحد منهم أن يقوم بتصحيح أخطائها، لأنها نقلت إليهم وكأنها تمثل أعظم تراث أنتجته الإنسانية عبــر تاريخهــا الطويــل. ولقــد حــاول الإسلاميون التوفيق بين آراء الكتب المنقولــة المتعارضــة بطريقة تعسفية كما فعل الفارابى فى كتابه الجمع بــين رأى الحكميين.

ومن ثم فإن الفلسفة اليونانية فيما عدا المنطق كــان لهــا تأثيرها المعاكس على الفكر الإسلامى، وقد جنت على تقدمه وأعاقت مسيرته التلقائية كما سبق وأن ذكرنا.

ولم تلبث هذه الفلسفة التلقائية أن تكشفت فيما بعد نتيجــة لظهورنصوص أرسيطة خالصة، كان لها أثرها في ظهــور أرسطو الحقيقي فيما بعد، عند ابن رشــد. وإحيــاء الفكــرة القائمة علي العقول العشرة الكونية هي البنية الأساسية للفكر الفلسفي الميتافيزيقي في الإسلام، وكان أرسطو قــد وضــع الأســاس الأول لهــذه النظريــة، فيمــا أســماه الإســكندر الافروديسي بعقول الكواكب والأفلاك، لكي يجعل من العقل

الفعال الأساس بحسب أرسطو عقلا كونيا مفارقا ومنفصلا عن الإنسان.

وسنري فيما بعد كيف أستطاع أفلوطين ممثل الحركة الفلسفية المزدهرة في الإسكندرية، أن يضع نظرية الصدور إبتداءً من الواحد، مستعينا في ذلك بسائر المذاهب الفلسفية من فيثاغورث إلي أفلاطون إلي أرسطو بل الرواقية والغنوصية وأديان الشرق كلها ، فما هى حقيقة الأفلوطينيه وما هو مسار مدرستة إلي إنتهاء تاريخ الإسكندرية القديمة.

الأفلاطونية المحدثة و تطورها :

كان أفلوطين (204-270 م) قد تتلمذ علي أمونيوس سكاس في الإسكندرية، ولازمة أحد عشر عاما، ثم أمضي بقية حياته في مدرستة التي أنشأها في روما، وكانت الحاجة ماسة إلي مذهب فلسفي يشبع الحاجة في الإسكندرية والعالم في هذه الفترة، لاسيما بعد أن فشلت الراوقية في أن تصبح دينا عالميا لتسد هذا المطلب الجوهري لأباطرة الرومان.

وجاءت الأفلاطونية المحدثة بما فيها من نزعة صوفية عالمية وقولها بالأقانيم الثلاثة الواحد والعقل والنفس، في

مقابل الآب والإبن والروح القدس، وقد أودع أفلوطين تعاليمة في التاسوعات التى أخرجها فورفوريوس بالصـــورة التـــى نجدها عليها ، ستة أقسام بكل منها تسع رسائل ، وتتنـــاول التساعية الأولي النفس الإنسانية ، والثانية والثالثـــة العـــالم المحسوس، والرابعة النفس، والخامسة العقـــل، والسادســـة الوجود بصفة عامة أو العالم العلوي .

وتدور التاسوعات حول فكرة رئيسية هي وحـــدة وجـــود ضرورية، يعتبر فيها الوجود الكلي مجلي لفـــيض تـــدريجي عن الواحد ، ولا يلبث هذا الفيض الحيوي أن يعود ثانية إلي الواحد في حركة صعود إبستمولوجية تهدف نهائي للوجود.

وينبثق العقل الأول من الواحد في نطاق عملية الصـــدور التى تأخذ في التمدد والإنتشار في صـــورة أحزمـــة أشـــعة نورانية، ثم لا تلبث النفس الكليـــة أن تأخـــذ طريقهـــا إلـــي الظهور النوراني المعتدل، وترسب المادة في المرحلة الدنيا للصدورات، كأنها أشعة ذابلة كظلال شبحية للأنوار العليـــا الصادرة، مما يذكرنا بالعالم المـــادي المحســـوس الـــوهمي الشبحي عند أفلاطون، كما يساعدنا الجـــدل الصـــاعد فـــي

الكشف عن هذه الوحدات الصادرة وتتبع مسارها صعوداً ونحن متعلقون بحبل الشعاع متجهون إلي جانب الحق فيكون لنا طريق نازل وطريق صاعد.

(1) الجدل الصاعد

وفيه تصعد النفس إلي الواحد ، وهو يتمثل في الإدراك الحسي بداية ثم الاستدلال العقلي ، وأخيراً الحدس الصوفي، إذ تتجه النفس الجزئية أولا إلي كثرة المحسوسات، فنري أنه لابد من وجود تنظيم أو منظم لها يحفظ عليها وحدتها، كالجيش والجوقة الموسيقية، ولا تلبث النفس أن تكشف مصدر الوحدة في المحسوسات وهي النفس الكلية، ويتقدم سير الجدل الصاعد بعد أن يكشف لنا عن حقيقة هامة وهي أن علة النظام المشاهد في العالم المحسوس هو النفس الكلية المنبثة في أرجائه، ولكن سرعان ما يظهر لنا أن النفس ليست هي الوحدة الكلية بل هي تشارك في الوحدة فحسب . أما الوحدة المعقولة فهي تتمثل في العقل الكلي الذي نجد فيه المعقولات مترابطة في صورة عالم معقول يعود بنا إلي عالم أفلاطون المثالي .

ولكن العقل الكلي لا يمكن أن يكون عاقلا ومعقولا فـــي نفس الوقت، أي أنة لا يمكن أن يعقل موضوعاته، لأن ذلك يحدث ازدواجا في ذاتيته تتنفي معه بساطته المعقولة، فتري النفس الكلية التي انتهي الجدل الصاعد إليها قبل العقل الأول أنة لا بد أن يكون له وضع اسمي من ذاتيتة، وهكذا تكتشف الواحد بالذات الذى هو علة وجود العقل الأول وعلة الوجود كل شيء علي الإطلاق .

وهذا الواحد ينتهي لدية فعل التعقل والفهم، أي تعقل ذاتة وسائر الموجودات الأخري . هذا هو الواحد وهـــو الخيـــر بالذات المفرغ من كل محتوي، وهو النبع النوراني الخالص الدائم ، كما لو كان نبعا ينبثق الماء منه باســـتمرار دون أن ينقص منة شيئا ، أو كالشمس التي تصدر أشـــعتها دون أن ينقص من نورها أو حرارتها شيئا .

(2) الجل النازل :

على أن أفلاطون لا يكتفى فى الجـــدل الصـــاعد وحـــده للكشف عن وحدات الوجود الصادرة، بل هو يستخدم منهجاً جدلياً آخر هو منهجه الجدلى النازل، وهو يتخذ عكس طريق

الجدل الصاعد، وهو هنا يستعير مـــن أفلاطـــون خطـــوات الرحلة الروحية أو التجربة الصوفية التى يعانيها، بداية مـــن إنطلاقه الأول من الكشف فى رحلة الصعود، إلى الواحد ثم العودة من الواحد إلى الأشياء ثانية فيما يسمى بالجدل النازل. فنرى أفلاطون أولاً متفقاً مع نتـــائج المـــذهب الأفلاطـــونى المتأخر فى صورته الشفوية، إن الواحد يقال على أنحاء عدة فهو واحد فى ذاته، أى أن ذاته غير منقسمة إلى أجزاء، وهو أيضاً واحد حسابياً، أى لا يتعدد وهو واحد كـــذلك لأنـــه لا تمايز فيه بين الذات والصفات، وهو واحد أخيراً لوحدة الفعل فيه بين الفاعل والمفعول فى ذاته، فلا إزدواجية إقتضاء لأى حدوث فى ذاته القديمة."

إن هذه البحوث وغيرها مـــن الدراســـات الجـــادة التـــى صدرت فى جامعة الإسكندرية وفى كلية الآداب بها ، وهى منارة الفكر والعلم والثقافة ، إنما تشير بما لايدع مجالا للشك أن علماء وأساتذة جامعة الإسكندرية يعملون على نشر الفكر والأدب والثقافة بالصورة التى تليق ومكانة هـــذه الجامعـــة العريقة . كما أن هؤلاء العلماء أيضا يواصلون عملهم فـــى

تلاحم تام مع الأجيال التى تتعلم عليهم ، وتنهل مـن فـيض علمهم ، ومن ثم فهم يعبرون عن الثقافة والفكـر الـواعى بقضايا الأمة والوطن . كما أنهم يعبرون أيضا عـن ذلـك الامتزاج الثقافى مع الثقافة العالمية ، تتواكب أعمالهم مع كل ما هو جديد ، مع الحفاظ على الهوية . وهذا إن أشار إلـى شىء فإنما يشير بالضرورة إلى استمرار الروح وتدفقها .... روح الشرق الجديد .

لقد أردت أن أقدم هذا النموذج الفلسفى الذى يشكل رؤيـة ثقافية وفكرية مهمة لروح الفكر فى الإسـكندرية القديمـة ، وكيف كان هذا الفكر بمثابة الموجه للحركات الفكرية التـى عاشت فى الإسكندرية لقرون طويلة تعكس الحياة الفكريـة للمثقفين السكندريين ، وكيف أن هذه الفلسفة ، فـى الوقـت نفسه ، كانت بمثابة مصدر اشعاع للفكر فـى دول حـوض البحر المتوسط . وهذا يعكس لنا طبيعة الفكر فى الإسكندرية الذى عبر بصورة قوية عن التواصل بين القديم والجديـد ، بين الحاضر والماضى ، بين التراث والتجديد ، بين ما كان

من فكر الأجداد وما توصل إليه الأبناء لتحـديث منظومـة المعرفة والثقافة فى كل عصر من العصور .

إن الفلسفة فى عصر من العصور مثـل الفـن تمامـا . الفلسفة تعكس محددات العصر ومكوناته الثقافيـة والفكريـة ومختلف أطروحات العقل ، علـى صـعيد الفكـر الفاعـل والمنفعل معا . والفن يعكس روح العصر التى يجسدها الفنان فى قوالب فنية وصور تبين إلى أى مدى تطـور العصـر ، وتكشف إلى أى مدى حدث تطور وتجديد وتطوير فى الأبنية الفكرية والثقافية والحياتية أيضا . ومن هذه الزاويـة فـإن الفلسفة والفن يكمل أحدهما الآخر ، ما تعكسه الفلسـفة فـى أفكار وتصورات، يكشف عنه الفن فـى لوحـات وصـور ورسوم ونقوش تنطق بروح الفنان .

الفصل الخامس

مكتبة الإسكندرية وروح الشرق الجديد

فى بلاط صاحبة الجلالة

الصحافة المصرية هى المرآة الحقيقية التى تعكس نبض المجتمع والمفكرين على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم السياسية والاجتماعية ، بصورة دائمة . ومن هذا المنطلق لعبت صاحبة الجلالة دوراً مهماً فى إلقاء الضوء على مكتبة الإسكندرية إن فى ماضيها أو فى حاضرها ومستقبلها، واتضح هذا الدور من خلال كتابات كبار الكتاب والصحفيين والأدباء الذين عنّ لهم أن يتناولوا مكتبة الإسكندرية من جوانبها المختلفة فى محاولة بنورامية رائعة تربط سياق الحاضر بالماضى ، وتستشرف من خلالهما معاً آفاق المستقبل وما يمكن أن تؤديه المكتبة من دور فاعل على كافة المستويات: المحلية والإقليمية والعالمية . والواقع يشهد بأن هذا ليس بجديد على الحياة الصحفية فى مصر على مر الزمان ؛ ولكن ربما جاء هذا أيضاً من قبيل تنوير الرأى العام أو من قبيل الإحتفال بهذا الحدث الضخم أو من قبيل إثراء الحوار حول المكتبة ، أو لتعظيم دور المكتبة الفاعل فى عصر الثقافات المنفتحة ، وفى عصر المعرفة بلا حدود. وربما كانت الكتابة لكل هذه الأسباب وغيرها كما رأى عدد

كبير من الكتاب الذين أعملوا الفكر والقلم فى محاولة جريئة لإستشراف آفاق المستقبل الثقافى فى عصر كله تحديات . فى عصر نواجه فيه كشعب وكأمة تحديات لابد من مواجهتها ، وهذا لن يكون إلا بالقلم والفكر المستنير.

ومع أن هناك كتابات متعددة قد صدرت فى الصحافة المصرية وغيرها عن مكتبة الإسكندرية، إلا أننى اقتبست، من بعض الكتابات مجموعة من الآراء التى تبين كل هذا، على قدر ما توافر لى. وهذه الاقتباسات تكشف عن تنوع وتعدد الرؤى ، وما يستوجبه هذا التنوع فى الحاضر والمستقبل . ولا تشير هذه الاقتباسات على تفضيل بعض الآراء على غيرها ، وإنما تعبر عن توجهات الصحافة المصرية فى الاحتفال بالمكتبة والنظر إليها . ومن ثم لاينبغى ، فى هذا المقام ، أن ننظر إلى مجموعة المقالات التى سوف أشير إليها هنا ، على إنها تمثل تفضيل لبعض المقالات على غيرها ، وإنما هى مجموعة المقالات التى اتيح لى أن أتوصل إليها والتى وجدت لدى . واعترف ابتداءً أن هناك مقالات أخرى ذات أهمية كبرى لم يتح لى

الحصول عليها ، ولم أتوصل إليها . وربما كانت تعكس آراء أخرى تثرى الموضوع وترفع من قيمة التحليل الذى أقدمه . ومع هذا رأيت أنه من الأفضل أن أشير إلى ما توصلت إليه من مقالات أعلم أنها تعكس الرأى الذى تعبر عنه الصحافة المصرية ورؤيتها الثاقبة .

لقد كتب الأديب الأستاذ أحمد عبدالمعطى حجازى فى جريدة الأهرام ثلاث مقالات مهمة: الأولى جاءت بعنوان "مكتبة الإسكندرية: من زاوية أخرى" ، وقد صدرت فى 17 أغسطس 1988. والثانية بعنوان "مكتبة الإسكندرية من وجهة نظر إيطالية" وصدرت فى 24 أغسطس 1988. والثالثة بعنوان ، "تهمة ليس عليها دليل" ، وصدرت فى 31 أغسطس 1988.

ومن وجهة نظرنا فإن هذه المقالات تشكل توجهاً فكرياً واحداً ، وتنظر للمسألة من خلال منظور واحد وهو منظور الدفاع عن الذات والهوية فى عصر بدأت تتلاشى فيه الذوات وتقزم فيه الهويات . وتواصل المنظور فى هذه المقالات الثلاثة يشكل بنية ما يعرضه الأستاذ حجازى فى المقالة

الثانية مفنداً رأى لوتشيانو كامفورا الكاتب الإيطالى الذى أصدر كتاباً بالإيطالية عام 1987 بعنوان "التاريخ الحقيقى لمكتبة الإسكندرية"، حيث حاول نفى تهمة حريق المكتبة عن الرومان وألصقها بالفاتحين العرب. وقد أستند لوتشيانو فى كتابه إلى ما ورد من روايات عند البغدادى وابن القفطى وابن العبرى ، وهى روايات كما رأينا فى الجزء الأول تنقصها الموضوعية وينقصها النقد والتحليل التاريخى الواعى، كما أنها تعبر عن منظور قصصى خلط الواقع بالخرافة.

استعرض الأستاذ حجازى فى تحليلاته الجوانب المتعددة للحجج التى قدمها لوتشيانو وفندها الواحدة تلو الأخرى ، ورد على كل ما زعمه هذا الكاتب الإيطالى بأن حريق المكتبة حدث مرتين، الأولى عام 48 ق.م. على يد يوليوس قيصر، والثانية عام 391 أثناء هدم المسيحيون معاقل ومعابد الوثنية فى الإسكندرية. وهذا الرأى الذى يقدمه لنا الأستاذ حجازى يعكس بصورة قوية وفاعلة ما وقع من أحداث فى مجرى التاريخ ، ويمثل أيضا فاعلية وأهمية الوعى والحس

الأدبى بقراءة ما بين السطور فى الكتابات التى تنشر فى الخارج عن مصر وتاريخ مصر ، وهو ماتعمل الصحافة المصرية جاهدة وبصفة مستمرة عليه .

دافع الكاتب والمفكر الأديب الأستاذ حجازى عن المكتبة وجوداً وكياناً وفكراً فى عبارات يقول فيها إن "إعادة بناء مكتبة الإسكندرية ليست مجرد عمل ثقافى، وإنما هى فكرة تتصل بجوهر السيادة وتجسيدها، لأنها تتصل بتاريخ مصر وتجسد شخصيتها، كما تتصل بحاضر مصر وتجسد دورها فى العالم". الأمر الذى يعنى التركيز على دور المكتبة من خلال دور مصر الفاعل ثقافيا .

وفى جريدة الأهرام بتاريخ 8 مايو 2001 كتب الأديب الفيلسوف الأستاذ سامح كريم عن مكتبة الإسكندرية التى نظر إليها نظرة حضارية يتواصل فيها الجديد مع القديم من خلال عطاء أبناء مصر. وفى هذا الصدد وجدناه يقول فى عبارات دقيقة مليئة بالمعانى الفياضة "لقد أثمر العمل الدؤب لأبناء مصر لأكثر من عشر سنوات صرحاً حضارياً شامخاً يؤكد للعالم أن مصر اليوم بعينها سفينة الحضارة الراسخة،

مهما تقلبت الأمواج من تحتها وثارت الرياح من حولها، وهبت العواصف عليها، هى هى مصر معلمة الثبات والصبر والإستقرار". بهذه الكلمات الرائعة أراد الأستاذ سامح كريم أن يذكرنا بعظمة الذات المصرية وقدرتها على العطاء ، وأراد أيضا أن يبرز دور مصر الحضارى الرائد الذى من خلاله تعلو هامتها ورايتها خفاقة عالية.

وعلى سطور صفحة ثقافة بجريدة الأهرام التى تلعب دوراً تنويرياً مهماً فى المجتمع المصرى والعالم العربى من خلال ما تطرحه من مناقشات للعديد من القضايا الثقافية والحضارية ، كتب الأديب الكبير الأستاذ سامى خشبة بعنوان "مكتبة الإسكندرية الجديدة: حكمة الحوار وجنون القوة " كتب يقول إن "الإسكندرية نشأت وتطورت - المدينة والمكتبة - فى مصر التى كانت قد صدرت كل إبداعاتها - فى كل مجال علمى أو تطبيقى - إلى كل (الحضارات/الثقافات) من حولها، ثم عادت - بحكم مركزيتها المشهورة - لكى تستقبل وتستوعب وتطور كل إبداعاتها (تلامذتها) أو (زملائها) الحضاريين الثقافيين... ثم لأن من أنشأوا المدينة والمكتبة -

أو قاموا بتطويرها – كانوا أنبغ هؤلاء التلامذة (اليونانيين) الذين صاروا بحكم التطور زملاء فى الحكمة، ولكنهم صاروا بحكم القوة غزاة حاكمين، وتلامذة نابغين مرة أخرى". بهذه الكلمات الرائعة استطاع الأستاذ الأديب سامى خشبة أن يبين لنا الدور الفاعل للإسكندرية المدينة والمكتبة تأثيراً وتأثراً فى منظومة تاريخية إبداعية إلتحمت فيها الثقافة بالحضارة ، بإشعاعات مضيئة من المركز ... من مصر ... والإسكندرية بالذات ليذكرنا بأن مصر الحضارة كانت أسبق من جيرانها فى الحضارة والثقافة معا . وربما كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نستوعب درس الحضارة والتاريخ على مر العصور، ومن الضرورى أيضاً أن نجد السبيل إلى تنوير الأجيال القادمة بالدور الحضارى الرائد لمصر عبر التاريخ ، حتى يظل الدرس راسخاً فى الوجدان والشعور المصرى .

إن الحوار الذى يشير إليه الأستاذ سامى خشبه يعكس حتما التفاعل بين الآنا والآخر فى منظومة حوارية متكاملة

تجسد تفاعل الثقافات وما تنطوى عليه من دلالات ومعان فى إطار التكامل بين الشعوب .

هذا ولا يفوتنا فى هذا الصدد أن نذكر – على قدر ما تتسع ذاكرتنا – ما سطره الأديب الكبير الأستاذ أحمد بهجت الذى أكد فى عبارات موجزة القول أن مشروع مكتبة الإسكندرية لا يشكل نوعاً من الجهود الرامية إلى إعادة بناء أحد المعالم الأثرية التى إندثرت، ولكن الغرض منه هو إحياء ذكرى مكتبة الإسكندرية بالطريقة الوحيدة المناسبة، وهى بعث تراثها العالمى فى صورة جديدة. وقد أشار الأستاذ أحمد بهجت إلى العديد من الكتابات التى تحدثت عن مكتبة الإسكندرية مبيناً أهميتها ودورها الثقافى والفكرى.

ومسألة بعث التراث العالمى فى صورة جديدة تشير هنا إلى أمرين متصلين هما : الأول ، بعث المكتبة من جديد لتؤدى دوراً حضاريا فاعلا فى الحفاظ على التراث العالمى تماما مثلما حافظت على التراث اليونانى والمصرى القديم منذ التأسيس وحتى التدمير . والثانى ، يتعلق باستشراف المستقبل وبعث روح الشرق الجديد فى عالم متغير يموج

بالمستجدات كل يوم ، وهذا ما سوف تؤديه المكتبة حين تنقل للعلماء هنا وهناك كل جديد .

وعلى صفحات جريدة الأهرام أيضاً نظر كمال مغيث إلى حائط المكتبة وأبجدياته ، يقول عنه "وعلى الحائط الرئيسى لجوانب المكتبة سجلت جميع أبجديات العالم كرمز لدور المكتبة فى أن تكون حلقة وصل بين الثقافات والعقائد والشعوب .." وكأن كمال مغيث بهذه العبارة الموجزة يجسد لنا اتصال ثقافات العالم من القشرة الخارجية حتى النخاع، وهو دور مكتبة الإسكندرية الحقيقى.

وتبدو مكتبة الإسكندرية أمام عينى الأديب والصحفى الأستاذ سعيد عبد الخالق بمنظور آخر، ففى مقالة رائعة له بعنوان "هرم رابع أسمه مكتبة الإسكندرية" صدرت فى جريدة الإهرام بتاريخ 28 أبريل 2001، نجده ينظر إلى مكتبة الإسكندرية من خلال أصدقائها ومن خلال ما يفد إليها من الأصدقاء قائلاً ... وظهرت فى عواصم العالم أربع عشرة جمعية صداقة لمكتبة الإسكندرية حتى الآن ... كما بدأ العالم يهدى المكتبة مئات الآلاف من الكتب الثمينة،

ويستقبل ميناء الإسكندرية منذ فترة نحو إثنتين كونتينر يومياً بهما فكر وعقل العالم حتى تعود الإسكندرية كما أراد لها الإسكندر الأكبر مركزاً للمعرفة العلمية، ومركزاً للحضارات المتعددة ... وأيضاً ... سوف تصبح الإسكندرية كما أراد لها بطلميوس أهم مركز ثقافى فى الكرة الأرضية .. ". إن هذه النظرة تجسد آمال وطموحات كبيرة تجعل رسالة المكتبة فى المستقبل بمثابة القلب من العالم.

وفى جريدة الوفد فى ابريل 2001 كتب الأديب الصحفى الأستاذ عباس الطرابيلى يقول عن مكتبة الإسكندرية " هى مكتبة ولا أى مكتبة ، لأنها هى أم المكتبات وأكبر وأشهر مكتبة فى تاريخ المعرفة وتاريخ الحضارة . ومكتبة الإسكندرية القديمة أقيمت عام 295 قبل الميلاد .... وكانت ضمن منطقة القصور الملكية فى منطقة الميناء الشرقية . وكان يشرف عليها الملك نفسه . ولم تكن مجرد مكتبة وعدة كتب ، بل كانت تضم مرصداً للفلك ومستشفى تعليميا ، وحديقة حيوانات للدراسة ، وكانت بكل المقاييس مكانا للإبداع العقلى .... "

وفى مقالة رائعة صدرت فى جريدة الأخبار 7 مايو 2001 كتب الأديب الكبير الصحفى الأستاذ جلال دويدار بعنوان " مصريون فى قائمة الشرف " أن مكتبة الإسكندرية " من مشروعات العصر الفريدة الذى تتباهى بإقامته مصر الحديثة التى تبنى مبارك إعادة بنائها .... مرافق واقتصاد . إنه تخليد لريادتها الحضارية والثقافية ليس على المستوى الإقليمى فحسب ولكن على المستوى العالمى وهو ما سوف يعيد للإسكندرية مكانتها وشهرتها التاريخية القديمة .

إن مكتبة الإسكندرية ستلعب دوراً حوارياً مهماً فى التفاهم والتواصل بين الشرق والغرب، وهذا ما يخبرنا به الأستاذ الكبير ألفريد فرج فى مقالته بعنوان "زيارة إلى مكتبة الإسكندرية " التى طالعتنا بها جريدة الأهرام فى 6 يناير 2002 حيث يقول "ها هى عروس البحر المتوسط ترشح مكتبتها العريقة الحديثة لتكون واحدة من مراكز اللقاء والحوار ... وترشيحها لتكون (شرفة مصر) المطلة على العالم فى الشرق والغرب، ولتكون أحدث منابر الحوار الحضارى واللقاء بين الحضارات ... تجديداً لرسالة قامت

بها الإسكندرية ومكتبتها ودار الحكمة فى العالم القديم وقامت مصر بإحيائها اليوم وساهمت فى رعايتها اليونسكو وغيرها ... فربما تساهم الإسكندرية ومكتبتها الحديثة فى إقامة هذا الحوار ونسج هذا التكامل الحضارى ... وبذلك تساهم فى دحض ودفع ونفى دعاوى (صراع الحضارات).

إن هذه المقتطفات التى ألمحت إليها إنما كان الغرض منها بيان الدور الفاعل الذى لعبته صاحبة الجلالة فى استشراف المستقبل بالنسبة لمكتبة الإسكندرية . وبطبيعة الحال فإنه كما سبق وأشرت ، ليست المقتطفات التى أشرت إليها حصراً لما صدر فى الصحافة المصرية أو العالمية ، فإن هذه المسألة تحتاج إلى مجلدات لبيان مجهودات واسهامات الصحفيين والكتاب والأدباء والمفكرين الذين تناولوا مكتبة الإسكندرية بالحديث .

وفى الإسكندرية مدينة مدن البحر المتوسط أصدرت الهيئة الإقليمية لتنشيط السياحة بدعم فاعل وقوى من السيد اللواء محمد عبد السلام المحجوب محافظ الإسكندرية الذى شرفت به هذه المدينة محافظا مستنيراً لها، والذى جعل من

مدينة الإسكندرية الحديثة صرحا ومنارة سياحية خلابة فى حوض البحر المتوسط ، أصدرت الهيئة ثلاث مجلدات عن الإسكندرية على درجة كبيرة من الأهمية بقلم العديد من الكتاب والمفكرين الذين سجلوا عن الإسكندرية أروع الصفحات . وفى هذه المجلدات ظهر الدور الفاعل النشط الذى لعبه السيد اللواء حازم أبو شليب الذى عشق الإسكندرية فكان أن عاشت فى وجدانه يطير بها فرحا .

يقول فى تقديم المجلد الأول " إذا ما كان التاريخ هو المرآة التى تنعكس على صفحتها كل أمجاد الوطن ، وإذا ما كانت الحضارة هى حصيلة تراكم المنجزات خلال تعاقب الحقب الزمنية ، وإذا ما كان السجل المشرف لجميع ذلك هو ، الذى يرفع الصوت عاليا ناطقا بكل ما يزهو به البلد . فإن الإسكندرية لترفع الرأس شموخا بما قدمت للتاريخ والحضارة ."

ويقول اللواء حازم أبو شليب فى المجلد الثالث : "الإسكندرية مدينة متفردة فى العالم – فهى واحدة من أقدم وأعظم المدن فى التاريخ القديم والحديث . وقد طبقت

شهرتها الآفاق ، ولديها كنوز من الآثار الفرعونية واليونانية والرومانية والمسيحية والعربية الإسلامية - كما أن الحضارات التى تعاقبت عليها منذ نشأتها وحتى يومنا هذا كانت مجالا خصباً للبحث والدراسة من أبناء لها أفنوا حياتهم حبا فيها ، وذابوا غشقا فى جمالها وسحرها ..."

لقد حرص اللواء حازم أبو شليب على تقديم التنوع الفكرى عن الإسكندرية والمكتبة من خلال مقالات ودراسات عدد كبير من المفكرين والمؤرخين والعلماء بالصورة التى تكشف أهمية المدينة والمكتبة . وهذا الانتقاء له أهميته فى التعرف على مكانة المدينة والمكتبة تاريخيا .

أما العالم والمهندس والفنان الأستاذ الدكتور إسماعيل سراج الدين مدير مكتبة الإسكندرية فقد كتب بنظرة ملؤها الأمل والتفاؤل يقول "يمثل مستقبل مكتبة الإسكندرية مجموعة من التحديات الإدارية والفنية والثقافية فليس مطلوباً منها أن تستجيب لحاجات الجمهور المصرى فحسب، بل مطلوب منها أن تكون منارة فكرية ومؤسسة ثقافية تكتسب إحترام العالم ... لكى نكون فاعلين فى المجال الثقافى الدولى

ومشاركين فى توجيه الثقافة فى العالم، لابد أن نعكف سنوات للبحث لكى نخرج أعمالاً ثقافية وفكرية تعد من المرجعيات الدولية التى لا غنى عنها، ولذا نطلب من الجميع فى مصر مشاركتنا فى صناعة هذا النتاج الفكرى".

يتبين لنا من كل ما تقدم أن مدينة الإسكندرية ، باعتبارها مدينة تاريخية ، ومكتبة الإسكندرية باعتبارها رافد الفكر والثقافة ، تعبران فى العالم الجديد عن ميلاد فكر جديد ... وثقافة جديدة ، وامتزاج للثقافات فى عالم المعرفة بلاحدود، وفى عصر الإعلام المفتوح ، ما تعبران بالضرورة عن روح الشرق الجديد ،الشرق الفاعل ، المتطلع لعصر يسوده السلام والأمان والاستقرار . وهذه هى الرسالة التى نبعث بها إلى الأجيال القادمة .

ومن العلامات البارزة فى سريان روح الشرق الجديد تطور حركتنا الفنية السكندرية ، تلك الروح الجديدة التى مثلتها أعمال الفنان عبد السلام عيد الأستاذ بكلية الفنون الجميلة بجامعة الإسكندرية . وهو من الفنانين الذين امتلأت روحهم حبا وعشقا بالإسكندرية . لقد تنوعت أعمال الفنان

عبد السلام عيد بين المشاركة فى الورش المحلية والإقليمية والعالمية ، والمقالات والدراسات النقدية ، والمعارض الشخصية التى أقيمت فى مصر والخارج ، والمعارض الجماعية ، والمعارض الدولية ، وغيرها .

إلا أن أهمية أعمال الفنان عبد السلام عيد تجلت بصورة رائعة فى محاولته تجسيد الروح الجديد الذى استشرى فى الإسكندرية الحديثة مدينة الحضارات ، وهو ما تمثل فى الجداريات المتعددة التى أقيمت فى الإسكندرية ، تاركة بصمة حضارية متألقة فى هذه المدينة الحضارية الثقافية، تشهد بصدق على الروح الجديد الذى أصبح يمثل تحولا فى حياتنا أهل الإسكندرية.

كتب عنه الوزير الفنان القدير فاروق حسنى فى عام 1989 قائلا : " عبد السلام عيد، فنان علامة ... الفنان عبد السلام عيد من الفنانين الذين يمكن أن يكونوا بصمة لعصر ما. فهو فنان صاحب رؤية ، ايقاعاته فى التكوين حرة ومتداعية .. " .

وكتب عنه الفنان أحمد نوار قائلا :" يعد الفنان عبد السلام عيد من الفنانين المعاصرين المؤثرين والمبدعين للحركة الفنية المصرية الحديثة ... فنان اعتمد على قوة الحركة الداخلية وفى الوقت نفسه المحركة والدافعة لطاقاته الفكرية والإبداعية بدون حدود ..."

وكتب عنه كمال جويلى قائلا: " كلما تأملت عملا للفنان المبدع عبد السلام عيد ، أرى فيه جديدا، على الرغم من تأملى السابق له مرة ومرات ... وتلك سمة الإبداع الوجدانى المتدفق من الأعماق ..."

وكتب عنه أستاذ العمارة المعروف الدكتور مجدى موسى قائلا :" ... فنان صاحب رؤية فنية متميزة تتسم بالأصالة والتجديد وأعماله الفنية على مدى أكثر من ثلاثين عاما على اختلاف اتجاهاتها وتنوعها تعتبر اضافة إلى رصيد الحركة الفنية التشكيلية المصرية والعالمية المعاصرة " .

كان فن الجداريات من الفنون التى ميزت أعمال عبد السلام عيد فى الإسكندرية الحديثة، وطبعت الإسكندرية فى الوقت نفسه بطابعها . ويمكن لنا أن نعرف أهمية اللمسة

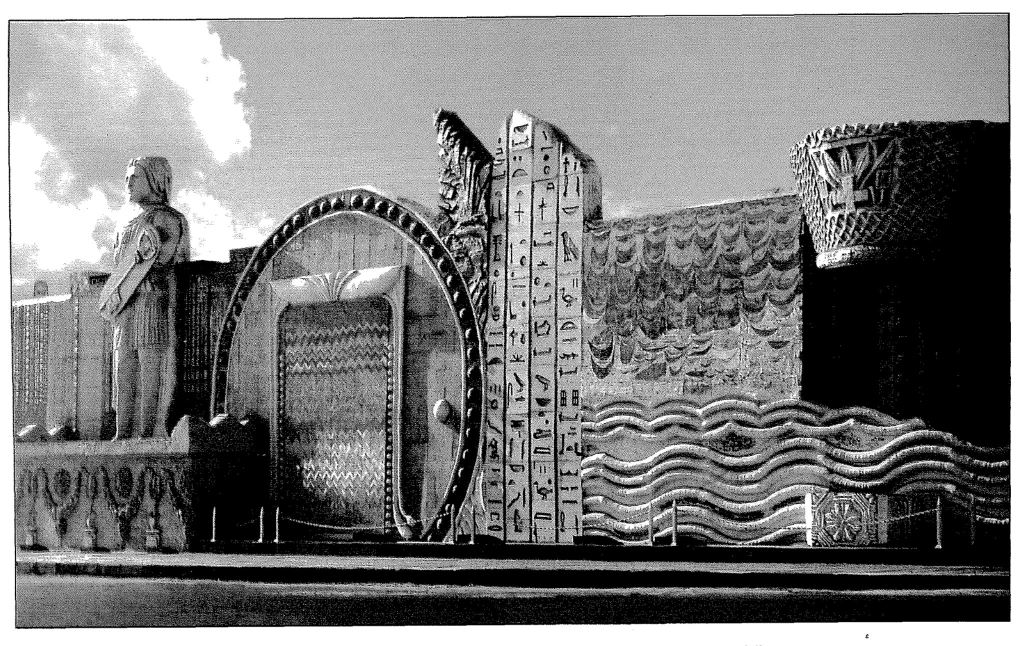
الجمالية الحقيقية التى اضافها وأضفاها الفنان عبد السام عيد على الإسكندرية من التعرف على بعض نماذج من أعماله التى أصبحت معروفة لأهل الإسكندرية ، وأصبحت موضع اعجاب من الزائرين للإسكندرية .


نماذج الجداريات
من أعمال الفنان / عبد السلام عيد
ALEXANDRIA

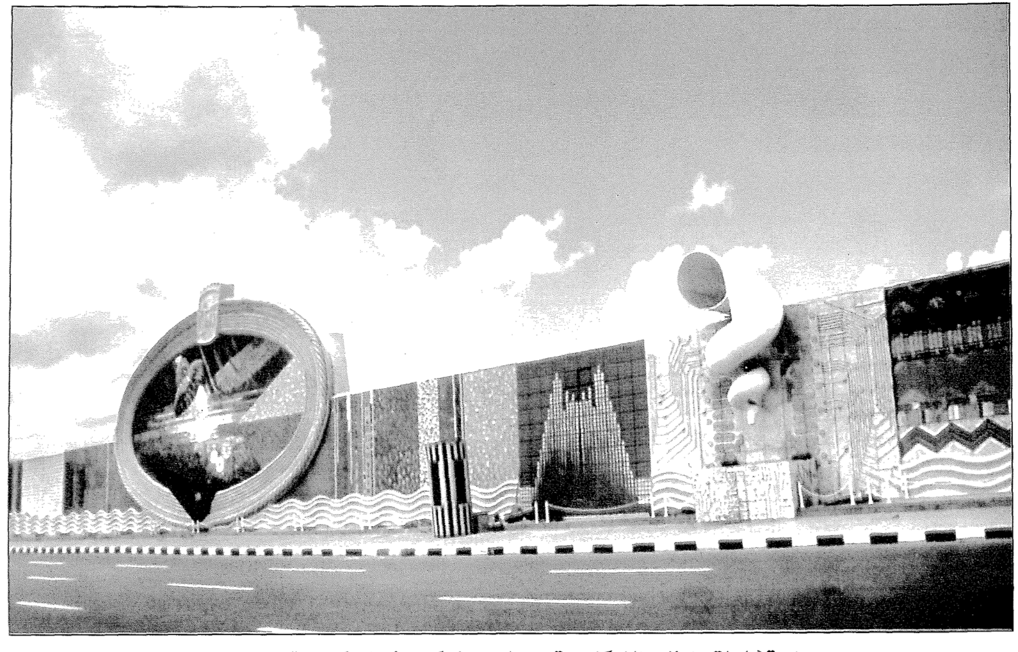


جدارية مكتبة الإسكندرية ٢٠٠١

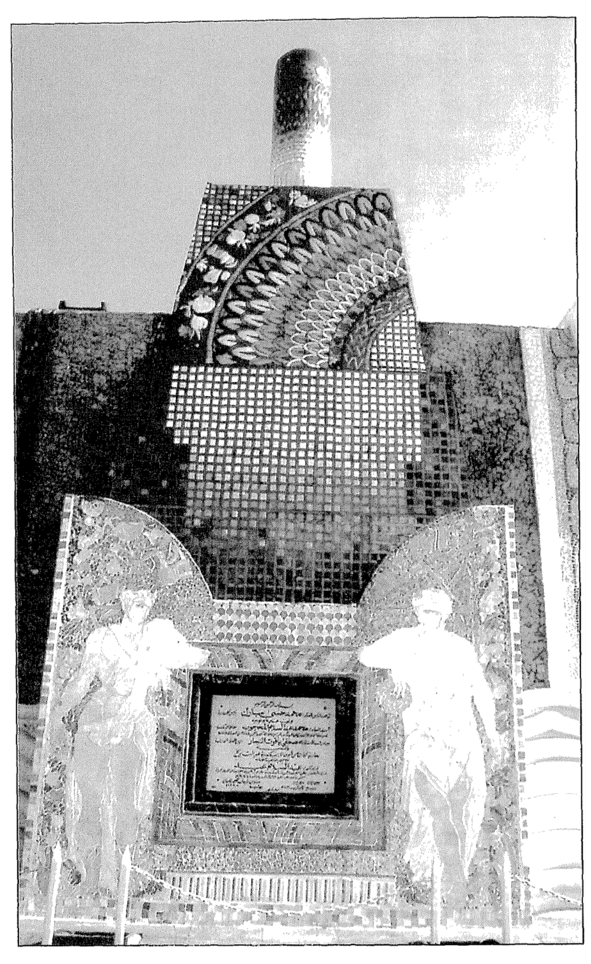
جدارية مكتبة الإسكندرية ٢٠٠١



جدارية (لمحات من فنون الإسكندرية عبر العصور) بكورنيش الإسكندرية ١٩٩٩ - ٢٠٠١



جدارية (لمحات من فنون الإسكندرية عبر العصور) بكورنيش الإسكندرية ١٩٩٩ - ٢٠٠١

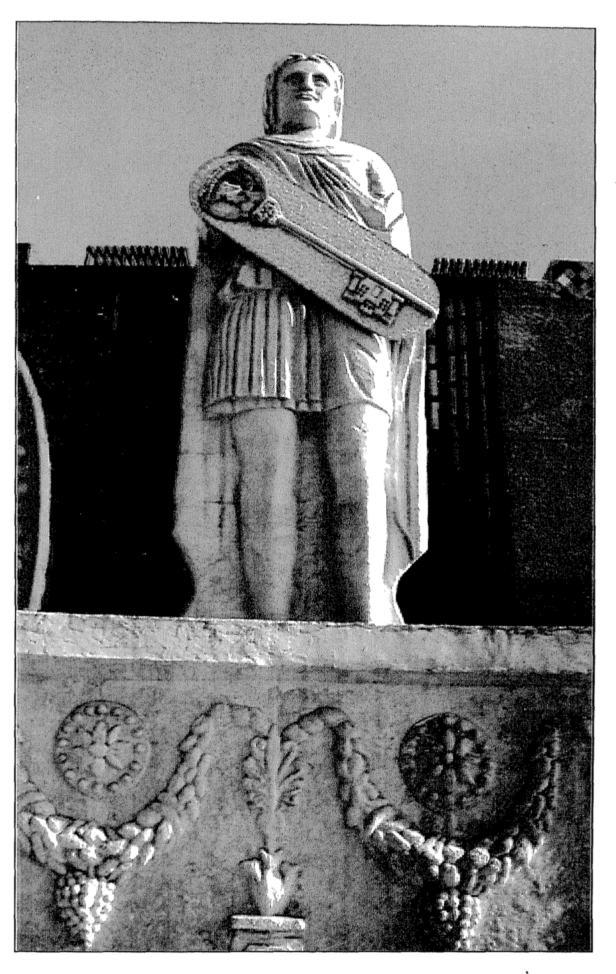


جدارية لمحات من فنون الإسكندرية عبر العصور (تفصيلية)

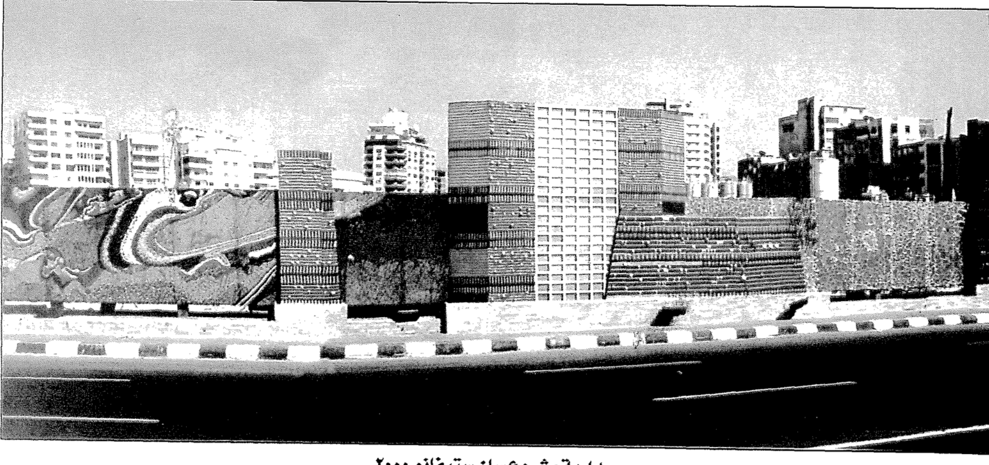


جدارية لمحات من فنون الإسكندرية عبر العصور (تفصيلية)

جدارية لمحات من فنون الإسكندرية عبر العصور (تفصيلية)

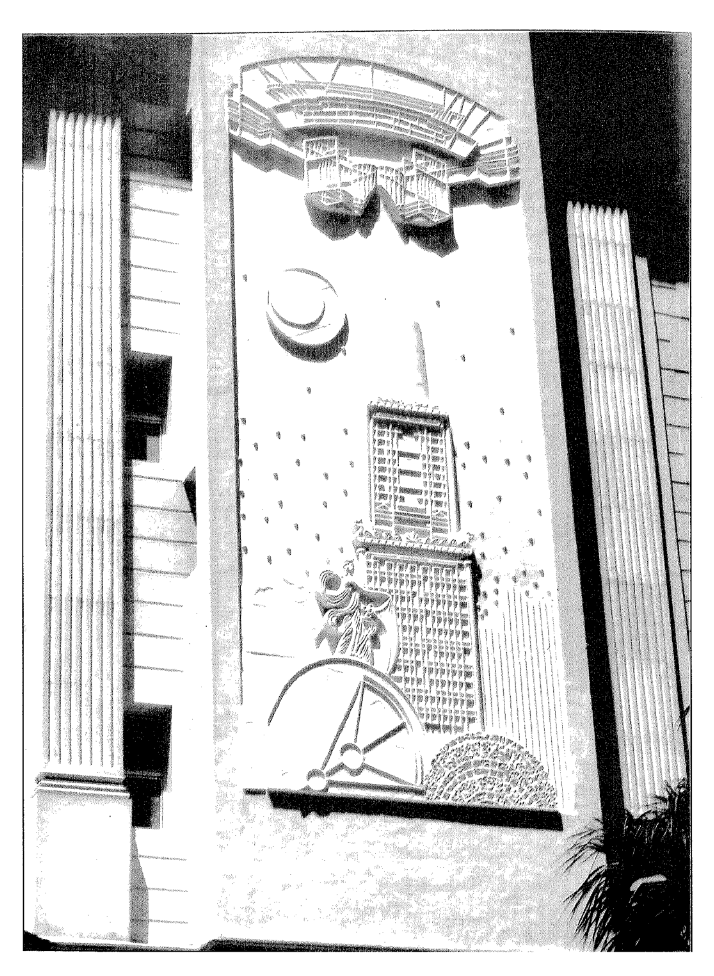


جدارية لمحات من فنون الإسكندرية عبر العصور (تفصيلية)

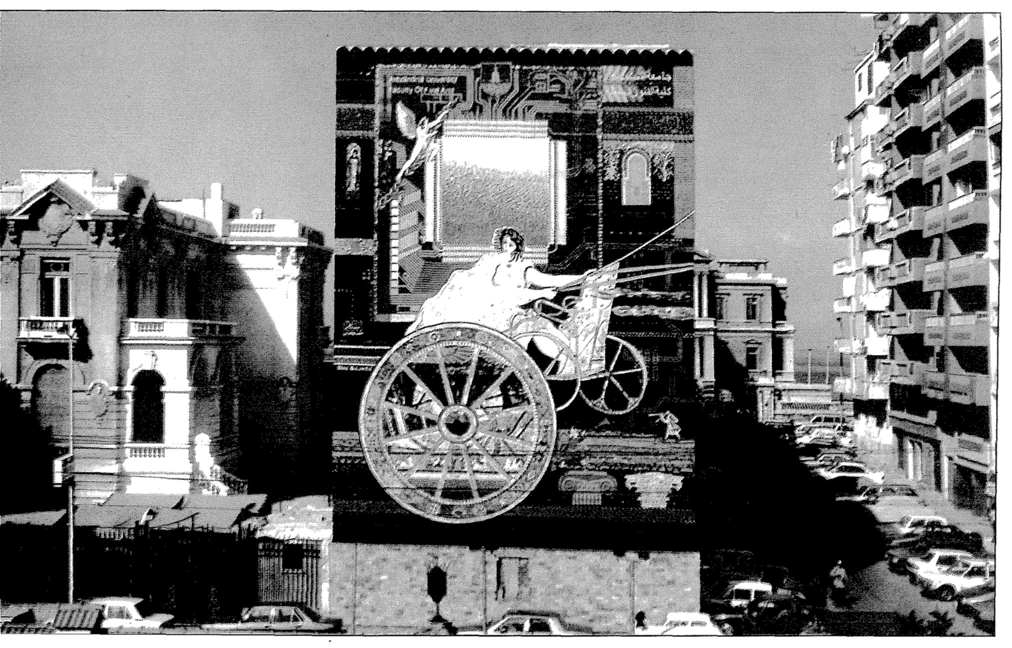


جدارية مشروع سان ستيفانو ٢٠٠٠

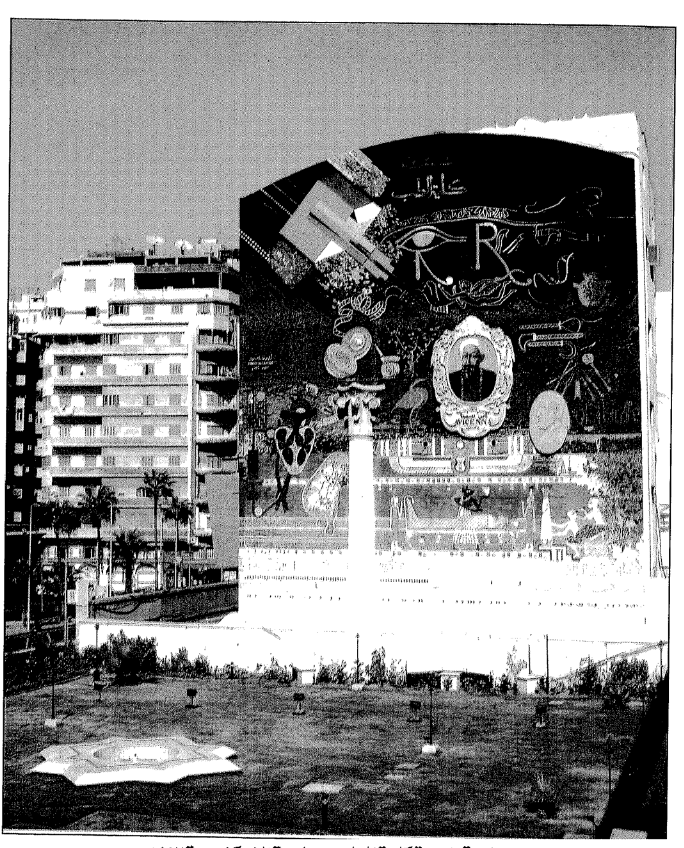
جدارية مشروع سان ستيفانو ٢٠٠٠



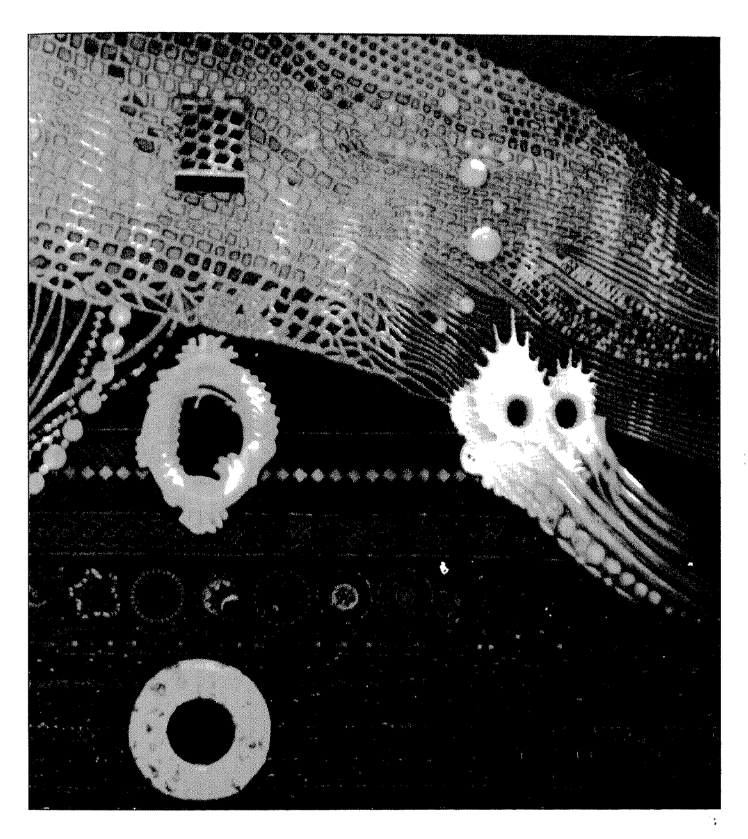
جدارية المعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية ٢٠٠٣



جدارية واجهة كلية الفنون الجميلة - جامعة الإسكندرية ١٩٩٧



جدارية واجهة كلية الطب - جامعة الإسكندرية ١٩٩٧



جدارية شاطئ ستانلي بالإسكندرية ١٩٩١

المؤلف في سطور

الدكتور ماهر عبد القادر محمد علي الأستاذ بجامعة الإسكندرية ، صاحب مدرسة علمية مصرية عربية في تاريخ العلوم وفلسفة العلوم .

1. عمل مدرساً مساعداً بقسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية في الفترة من 1975 – 1978 .
2. عمل مدرساً بقسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية في الفترة من 1978 – 1983 .
3. عمل أستاذاً مساعداً بقسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية في الفترة من 1983 – 1988 .
4. عمل أستاذاً بقسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية في الفترة من 1988 حتى الآن .
5. عُين رئيساً لقسم الفلسفة في الفترة من 25 / 7 / 1996 لمدة ثلاث سنوات .
6. أستاذ بقسم الفلسفة – كلية الآداب– جامعة الإسكندرية في الفترة من 1999 حتى الأن.

7. وكيل كلية الآداب جامعة الإسكندرية للدراسات العليا والبحوث اعتبارا من 10/3 /2001

8. عميد كلية السياحة والفنادق-جامعة الإسكندرية اعتبارا من 2002/8/2 وحتى الآن .

9. عمل فى بعض الجامعات العربية ومنها جامعة بيروت العربية وجامعة الإمارات العربية المتحدة التى كان ضمن فريق تطوير التعليم بها .

10. سافر إلى المملكة المتحدة فى مهمة علمية بقسم تاريخ وفلسفة العلوم بكلية العلوم بجامعة لندن 1981-1982

11. سافر إلى استراليا أستاذا زائراً لمدة شهر فى أغسطس 1993 حيث ألقى بعض المحاضرات عن تاريخ العلوم فى قسمى الفلسفة والتاريخ بجامعة نيوكاسل

<u>عضوية الاتحادات والجمعيات العربية والدولية</u>

1 - عضوية الهيئات الدولية

عضو الاتحاد الدولي للمنطق وفلسفة العلوم .

عضو الاتحاد الدولي لتاريخ العلوم .

عضو الجمعية الدولية لتاريخ الطب .

عضو أكاديمية الدراسات العربية الأيبيرية (لشبونة – البرتغال)

2- عضوية الجمعيات العلمية العربية

عضو الجمعية المصرية للتراث الطبي الإسلامي .

عضو جمعية تاريخ العلوم عند العرب الأردنية.

عضو مؤسس بالجمعية الفلسفية العربية .

3- عضوية الأكاديميات والجمعيات العلمية المصرية

عضو أكاديمية البحث العلمى *(لجنة تـاريخ وفلسـفة العلوم-هيئة علمية رفيعة المستوى تضم فـى صـفوفها صفوة العلماء ومن لهم إسهامات علمية بارزة أضـافت رصيدا للعلم)*

عضو لجنة الفلسفة المجلس الأعلى للثقافـة (مؤسسـة حكومية رفيعة المستوى تضم فى صـفوفها مـن لهـم إسهامات بارزة فى مجال الفكر والثقافة علـى الصـعيد القومى).

عضو لجنة تحقيق التراث بدار الكتب المصرية سابقا (هيئة علمية حكومية رفيعة المستوى تضم فى صفوفها نخبة من الخبراء والمتخصصين فى الفكر العربى وتحقيق التراث)

عضو مؤسس بالجمعية الفلسفية المصرية ومشارك فى مؤتمراتها وندواتها على امتداد سنوات طويلة .

رئيس الشعبة الاجتماعية بهيئة الفنون والآداب بالإسكندرية (سابقا).

عضو جمعية الآثار اليونانية والرومانية

عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين .

عضو اللجنة العلمية الدائمة لقطاع الدراسات السياحية.

أهم المؤتمرات :

1) حضر وأسهم في المؤتمر الدولي السابع للمنطق وتاريخ وفلسفة العلوم الذي عقد في سالزبورج ، أغسطس 1983 م .

2) حضر وأسهم ببحث في المــؤتمر الفلســفي العربــي الثالث الذي عقد في الأردن (عَمان) 1987 م .

3) الباحث العربى الوحيد الذى اختير للإسهام فى أعمال المؤتمر الدولي الذي عقد في أســتراليا فــي أغســطس 1993م عن الأسس الصورية للعقل، وقام بإلقــاء ثــلاث محاضرات عن العلم العربى واتجاهات الفلسفة فى العــالم العربى بدعوة من قســمى الفلســفة والتــاريخ بجامعــة نيوكاسل.

4) حضر وأسهم بالبحث فــي مــؤتمر شــعوب البحــر المتوسط، الذى عقد فــي رحــاب جامعــة الإســكندرية 1997م.

5) حضر وأسهم ببحث في مؤتمر فرح أنطون الذى عقــد في رحاب الجامعة اللبنانية ببيروت مارس 1999م .

6) حضر وأسهم ببحث في مؤتمر الإسلام والعولمة الذي عقد في رحاب كلية دار العلوم جامعــة القــاهرة مــايو 1999م .

7) حضر واسهم ببحث عن التراث العلمى العربـــى فـــي المؤتمر الذي عقدته جامعة الدول العربية في مارس2000

8) حضر واسهم ببحث فى المؤتمر الدولى لجمعيات تاريخ العلوم البريطانية –الأمريكية –الكندية الذى عقدته جامعـــة واشنطن فى مدينة سانت لويس بولاية ميسورى فى الفترة من 3-5 أغسطس2000 .

إسهامات على الصعيد المحلى والقومى

1- إصدار سلسلة من المقالات العلمية عـــن التعلـــيم ، الأحداث القومية الجارية ، فى الصحف المصـــرية والعربية على امتداد سنوات طويلة اعتبـــارا مـــن 1973 وحتى الآن .

2- الإشراف على سلسلة من المقـــالات العلميـــة فـــى جريدة البيان (الإمارات) علـــى امتـــداد خمـــس سنوات (فى الفترة 1992-1996).

3- إصـــدار أول جريـــدة لكليـــة العلـــوم الإنســـانية والاجتماعية بدولـــة الإمـــارات العربيـــة المتحـــدة (إشراقة).

4- إلقاء العديد مـن المحاضـرات فـى الجامعـات المصرية، وعقد الندوات بقصر الثقافة بالإسكندرية على امتداد سنوات .

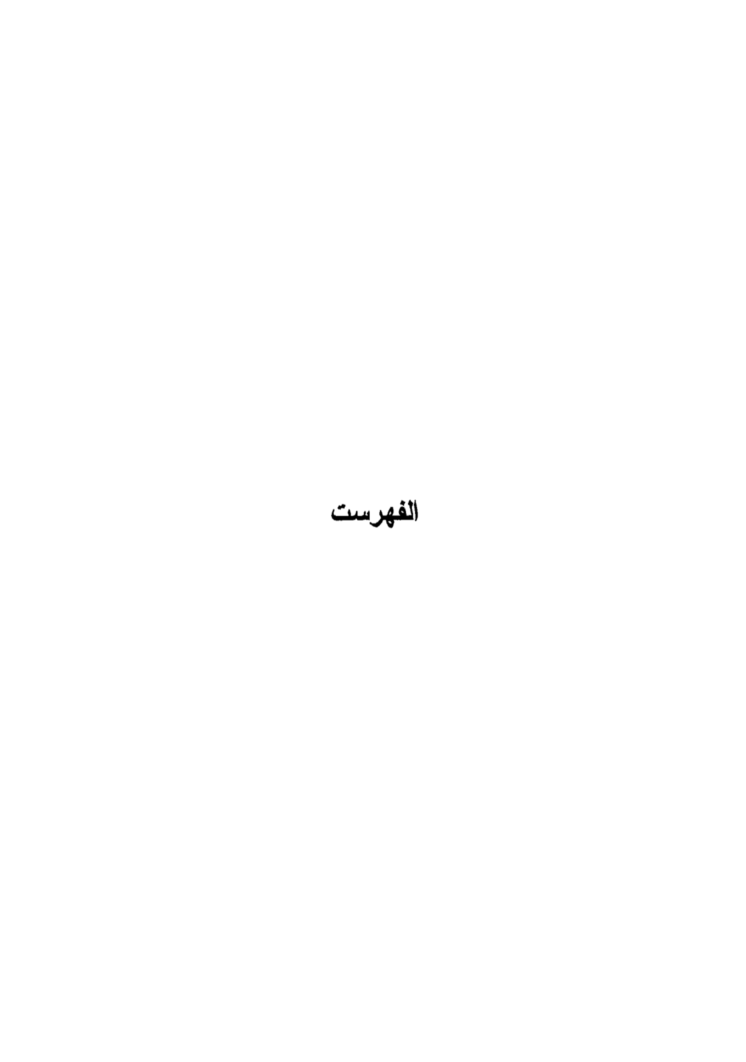
5- رشح من قبل جامعة الإمارات العربية المتحدة عام 1996 ثم من قبل كلية الآداب جامعة الإسـكندرية لنيل جائزة العويس فى العلوم الإنسانية وهى جائزة عربية وعالمية .

مؤلفاته

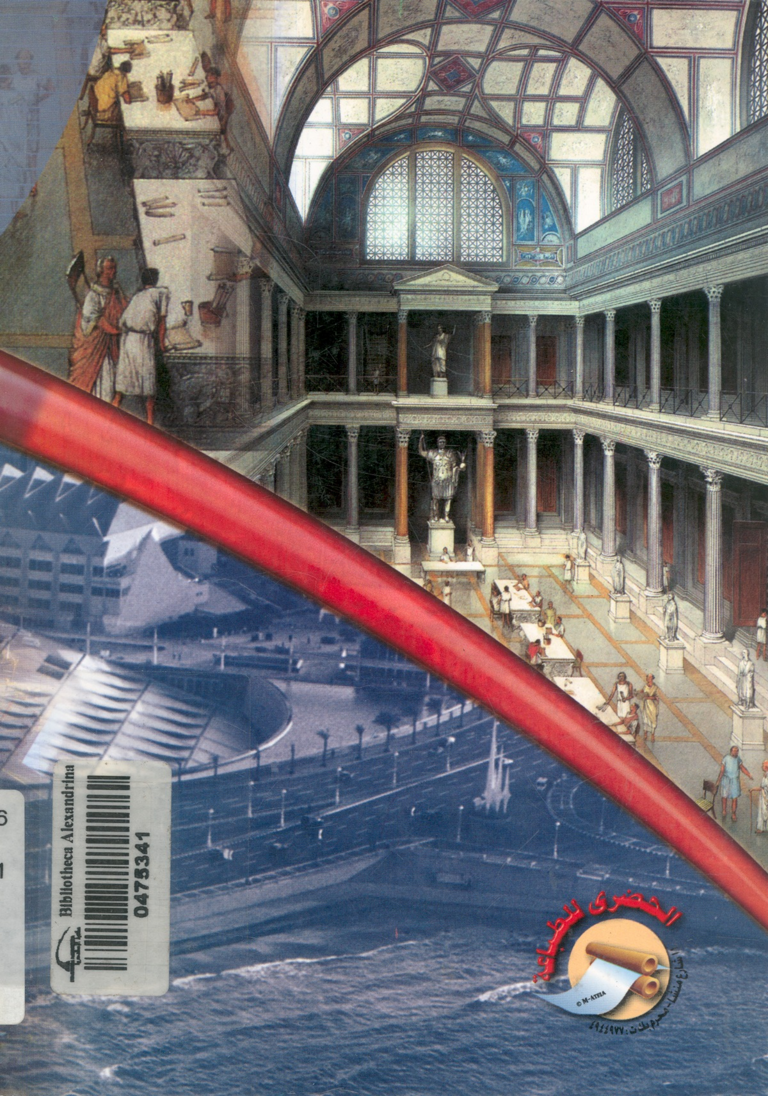
1- فلسفة العلوم 7 أجزاء

2- تاريخ العلوم

هذا بالاضافة إلى العديد من الترجمات التى تناولت نقل أمهات الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية .



الفهرست


Bibliotheca Alexandrina
0475341
الحضرى للطباعة
© M-ATEIA